

تطور العلاقات الباكستانية الإسرائيلية: الدوافع والأهداف والصعوبات

مخلد عبيد عودة الميضي*

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى البحث في الدوافع والأهداف وراء تطور العلاقات الباكستانية الإسرائيلية منذ نقل باكستان لعلاقاتها مع إسرائيل من النطاق السري إلى النطاق الرسمي المعلن، والحديث عن آفاق جديدة لتلك العلاقات، وطبيعة العلاقات الباكستانية الإسرائيلية خلال المرحلة السابقة للقاء وزير خارجية كلا البلدين في اسطنبول (تركيا) في الأول من سبتمبر 2005، وإعلان الرئيس الباكستاني برويز مشرف أن بلاده ستتخذ خطوات باتجاه تطبيع العلاقات مع إسرائيل وصولاً إلى علاقات دبلوماسية كاملة بين البلدين تزامناً مع تقدم عملية السلام في منطقة الشرق الأوسط. وكذلك تهدف الدراسة إلى التعرف على الصعوبات والإشكاليات التي تواجه تطوير هذه العلاقات مستقبلاً، ومعرفة تأثير التقارب الباكستاني الإسرائيلي على القضايا العربية وبخاصة القضية الفلسطينية.

وباستخدام المنهج التاريخي التحليلي، بينت الدراسة أن لكل من الدولتين أهدافاً ودوافع إستراتيجية وسياسية واقتصادية وعسكرية كامنة وراء محاولة كل دولة تطوير علاقاتها مع الأخرى، وأن هناك عدة صعوبات تعصف أمام التطبيع الرسمي والكامل لهذه العلاقات. وكذلك فقد أوضحت الدراسة بعض الإشكاليات الهامة والتي يثيرها التحول في العلاقات الباكستانية الإسرائيلية بالنسبة للقضايا العربية، وبخاصة القضية الفلسطينية. وبينت أيضاً أنه من غير المستبعد أن تقوم علاقات دبلوماسية كاملة مع إسرائيل خلال فترة قصيرة، لأن التزامات باكستان الإسلامية ودورها في منظمة المؤتمر الإسلامي وموقفها من القدس والقضية الفلسطينية لم تكن عوائق أمام قرار التقارب مع إسرائيل، وأن القضية الفلسطينية لم تكن مصلحة باكستانية خالصة أو لم تكن قادرة على منافسة مصالح أخرى ترجح التقارب مع إسرائيل. والطريق أصبحت شبه ممهدة لباكستان إذا تغلبت على بعض الصعوبات وبخاصة المعارضة الباكستانية الشديدة.

الكلمات الدالة: العلاقات الباكستانية الإسرائيلية، الأهداف الإسرائيلية، الأهداف الباكستانية، باكستان والقضية الفلسطينية.

* قسم العلوم السياسية، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة مؤنة، الفكر، الأردن.

تاريخ تقديم البحث: 2006/11/16.

تاريخ قبول البحث: 2007/4/12.

© جميع حقوق النشر محفوظة لجامعة مؤنة، الفكر، المملكة الأردنية الهاشمية، 2008.

The Development to The Pakistan's Israeli Relationships: Motives, Objectives and Obstacles

Mekhled O. Mobaidin

Abstract

This study aims at investigating motives, objectives, and the problems behind the development of the Pakistan Israeli relations since the Pakistanian relations with Israel has no longer been secret, and the out look new look to these relations concerning the nature of these relations during the previous stage of the Istanbul's meeting on September 1, 2005, when Pakistan's foreign minister met his Israeli counterpart in Istanbul. Pakistanian president (Pervez Musharraf) announced that his country will take steps to establish a full diplomatic relations with Israel if the progress has achieved in the peace process in the Middle East. He said only after the creation of a Palestinian state with al-Quds (Jerusalem) as a capital city would Pakistan recognize Israel. Also, the study aims at recognizing the obstacles which face the relations between the two states in the future, and the influence of these relations on the Arab's issues, especially the Palestinian problem.

By using the historical and analytical method, the study shows that both countries have objectives and many strategic, political, economical, and military motives behind their attempts to improve their relations. General Musharraf wants Pakistanis to believe that recognizing Israel will be good for their country, saying that endless and vital advantages will begin to flow to Pakistan once it normalizes relations with Israel. This is an Israeli demand advanced through the agency of the US government. But there are many obstacles before the full normalization of their relations. Also, the study shows that the normalization relations will have bad effects on Pakistan Arab relations especially on Palestinian question, although Pakistan has so far been remained steadfast in its support to the Palestinian cause. Finally, the study shows that establishing full relations between Pakistan and Israel is emin, because of the Pakistanian Islamic commitments, its role in the Organization of Islamic Conference, its position towards the Palestinian question, and its obligations towards al-Quds (Jerusalem) obligations did not prevent Pakistan from closing its ties with Israel. On the other hand, it becomes clear that Palestinian question did not form a pure Pakistanian interest vis-à-vis its other interests. Therefore, Pakistan will follow many ways to normalization its relations with Israel when she overcomes all the problems especially the strong internal opposition.

KeyWords: Pakistanian, Israeli relations, Israeli objectives, Pakistanian,s objectives, Pakistan and Palestine Problem.

مقدمة

بالرغم من العداء الظاهر بين إسرائيل وباكستان، فإنهما يتشاركان في عدد من الأشياء الظاهرة؛ فقد وجدنا في فترة متقاربة جدا وطنا لأقلية دينية؛ إسرائيل كوطن لليهود وباكستان كوطن للأقلية المسلمة في الهند. كذلك، فإن البلدين تأسسا على أيدي قيادات علمانية. يقول أحد الباحثين: "إن إسرائيل وباكستان هما الدولتان الوحيدتان اللتان وجدتا في القرن العشرين باسم الدين"، لكن الباكستان، كانت نتيجة لكفاح المسلمين الذين عاشوا في الهند لأكثر من ألف عام، في حين أن إسرائيل جاءت ثمرة للجهود التي بذلتها الحركة الصهيونية التي نشأت في أوروبا وترعرعت فيها، وما يزيد على 90% من سكانها جاءوا من الخارج واستوطنوا في إسرائيل (الأحسن، 2005)، وقد تم قتل الآلاف من السكان الفلسطينيين المحليين أو طردهم من وطنهم، ونتيجة لذلك، فقد عارضت

باكستان المخطط الصهيوني داخل أروقة الأمم المتحدة، وهذا ما قدره العرب والمسلمون عاليا لباكستان في مختلف أنحاء العالم.

كسرت إسرائيل الحاجز النفسي بالاتصال والتعاون والتطبيع مع دول عربية وإسلامية، كالباكستان التي أضحت العلاقات معها أكثر دلالة وأثراً على اعتبار أنها الدولة الإسلامية الثانية من حيث عدد السكان - ما يقارب 170 مليوناً-، إضافة إلى طبيعة المجتمع الباكستاني التقليدي ذي التيارات الإسلامية المتشددة، مما يشكل دعامة نفسية ومادية لبعض الدول الراهبة بتسريع عمليات التطبيع بشكل علني، بعدما جبرت بأشكال مختلفة كالمكاتب التجارية والإعلامية والمؤتمرات الاقتصادية والعلمية، وبالتالي تكثفت الاتصالات الباكستانية الإسرائيلية وارتفع مستواها بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، بعد التعاون الإستراتيجي بين الهند وإسرائيل بمباركة من الولايات المتحدة، وقيام الرئيس الباكستاني برويز مشرف بزيارة واشنطن في سبتمبر 2005 ليكون أول رئيس دولة إسلامية يلتقي أركان المؤتمر اليهودي الأمريكي الفاعل والمؤثر في دوائر البيت الأبيض في جلسة حوار بين الأديان والحضارات.

كذلك، فإن الباكستان دولة محورية في المنطقة تتفاعل باستمرار مع قضايا العرب والمسلمين، إضافة إلى وجودها وسط محور حدودي ساخن يضم الهند وإيران وأفغانستان والصين، مما يجعلها ضمن اهتمامات صانعي القرار في الولايات المتحدة وإسرائيل؛ فالهند - العدو التقليدي لباكستان - قد طورت علاقاتها مع واشنطن وتل أبيب، بحيث أصبحت المصالح الباكستانية الإقليمية والإستراتيجية محل تهديد مما دفع بدوره القادة الباكستانيين لمواقف واتصالات سياسية تقربهم من إسرائيل، الأمر الذي أضر بالمصالح العربية والإسلامية، متذرعين بمبررات خطيرة مفادها أن الضغط عبر علاقات مع إسرائيل أفضل من مقاطعتها. وفي هذا السياق، فإن الصدمة كانت قوية للعالم العربي والإسلامي عندما تم الإعلان في الأول من سبتمبر 2005م عن لقاء وزير خارجية كل من باكستان وإسرائيل آنذاك في اسطنبول، بوجود وزير الخارجية التركي، وقول وزير الخارجية الباكستاني خورشيد قصوري بعد اللقاء، إن بلاده ستربط دبلوماسياً بإسرائيل تقييداً لانسحابها من قطاع غزة، وقول الوزير الإسرائيلي سيلفان شالوم إن هذا اللقاء سيكون خطوة لفتح قنوات جديدة من الحوار بين العالم الإسلامي وإسرائيل، وجاء اللقاء بمبادرة من الرئيس الباكستاني برويز مشرف، الذي طلب من رئيس وزراء تركيا رجب طيب أردوغان ترتيب هذا اللقاء، مع أن الوزير الباكستاني قد قال إن اللقاء لا يعد اعترافاً بباكستانيا بإسرائيل.

وبعد هذا اللقاء التاريخي صرح وزير الخارجية الإسرائيلي بأن دفاء العلاقات بين إسرائيل وباكستان هو مصدر أمل كبير للشعب الإسرائيلي (رجب، 2006). وقد سارعت باكستان لطمأنة حكومات مصر والأردن وبعض الدول العربية، مؤكدة أن هذه العلاقات مع إسرائيل تهدف في الأساس إلى دفع إسرائيل نحو حل القضية الفلسطينية كما لا توجد نية مطلقاً للاعتراف بإسرائيل رغم أن هناك دولا عربية اعترفت فعلاً بإسرائيل كدولة في المنطقة وأقامت معها علاقات دبلوماسية. وفي الوقت نفسه التقى وزيراً خارجية البلدين مساء الأربعاء 2005/8/31 سرا وبشكل غير رسمي لأول مرة في تاريخ البلدين (مظلوم ب، 2005). وبالتالي، فإن اجتماع الأول من سبتمبر 2005 قد أثار العديد من الأسئلة: أين هو الخطأ في إقامة باكستان علاقة رسمية

مع إسرائيل؟ وما وجه الغرابة في التعامل مع إسرائيل؟ وما هو تأثير ذلك في العالم العربي والإسلامي... الخ. من هذه الأسئلة وغيرها جاءت أهداف وأهمية موضوع الدراسة، إضافة إلى قلة الدراسات السابقة حول هذا الموضوع.

الدراسات السابقة

يعد هذا الموضوع من المواضيع الحديثة، لذلك فإن الدراسات المتعلقة به مازالت قليلة من جهة، ومتناثرة وغير متكاملة من جهة أخرى؛ لم يكتب عن العلاقات الباكستانية الإسرائيلية إلا على شكل مقالات صحفية أو تقارير يومية لحالات ومواقف جزئية غير متكاملة من الناحية الموضوعية أو الزمنية، ومن الأمثلة على ذلك مقالة أسعد عبد الرحمن (2005) و المكتب الإعلامي لحزب التحرير (2004) وصحيفة البيان الإماراتية (2005/9/4)، الخ. أو حتى الكتابات الخاصة بعملية التطبيع بين الدولتين؛ مثل كتابات جلال عارف عن التطبيع الباكستاني في صحيفة البيان الإماراتية (2005/9/4)، أو كتابات حسن عن العلاقات الباكستانية الإسرائيلية في صحيفة الثورة (2005/9/9)، وكتابات صحيفة الوطن السعودية (2005/9/3) عن مبررات باكستان في محادثاتها مع إسرائيل. ومن زاوية أخرى، هناك كتابات ودراسات ناقصة تبحث في جانب واحد في العلاقات الباكستانية الإسرائيلية؛ كالجانب العسكري أو الأمني... الخ. مثل دراسة محمد جمال مظلوم عن هذه العلاقات بتركيزها على الأبعاد العسكرية في مجلة السياسة الدولية عدد 162 أكتوبر 2005، الخ. أو ورود بعض المقطعات عن تأثير هذه العلاقات على القضية الفلسطينية، كما هو الحال بالنسبة لموقع إسلام أون لاين، وهكذا دواليك. وبالتالي يمكن القول بأنه لا توجد دراسة شاملة ومتربطة عن تطور العلاقات الباكستانية الإسرائيلية، فجاءت هذه الدراسة لتسد هذا النقص ما أمكن ذلك (الرجوع إلى قائمة المراجع يبين ذلك).

أهداف الدراسة وأهميتها

تكمن أهمية الدراسة في نفل باكستان لعلاقتها مع إسرائيل من النطاق السري إلى النطاق الرسمي، والحديث عن أفاق جديدة لتلك العلاقات، وكذلك التداعيات والإشكاليات الإستراتيجية التي يثيرها التحول في العلاقات الباكستانية الإسرائيلية بالنسبة للعلاقات العربية الباكستانية، وبخاصة في موضوع القضية الفلسطينية؛ لذلك فإن أهمية الدراسة تتبع من التحول الأخير في العلاقات الباكستانية الإسرائيلية، وطبيعة العلاقات الباكستانية الإسرائيلية خلال المرحلة السابقة للقاء وزيري خارجية كلا البلدين في تركيا في الأول من سبتمبر 2005، وإعلان الرئيس الباكستاني برويز مشرف أن بلاده ستخذ خطوات باتجاه تطبيع العلاقات مع إسرائيل وصولاً إلى علاقات دبلوماسية كاملة بين البلدين تزامناً مع تقدم عملية السلام في منطقة الشرق الأوسط.

لذلك، فإن **الهدف الأول** لهذه الدراسة هو التعرف على التطور التاريخي للعلاقات الباكستانية الإسرائيلية، مع التركيز على الفترة التي تلت أحداث 11 سبتمبر 2001. و**الهدف الثاني** هو التعرف على الدوافع والأهداف من التقارب الباكستاني الإسرائيلي لكلا الدولتين منذ اللقاء العلني للوزيرين في تركيا، والصعوبات والإشكاليات التي تواجه تطوير هذه العلاقات مستقبلاً. و**الهدف الثالث**، هو معرفة تأثير التقارب الباكستاني الإسرائيلي في القضايا العربية وبخاصة القضية الفلسطينية. وقد واجه الباحث مشكلة خاصة بجمع المعلومات والبيانات عن تطور

العلاقات الباكستانية الإسرائيلية، لأنها كانت تحظى بطابع من السرية ولفترة طويلة، فضلاً عن كثرة اللغط حولها، وعدم التيقن من مساراتها وتطوراتها المختلفة، وقد تم التغلب على هذه المشكلة بالرجوع إلى شبكة الانترنت كما هو واضح في قائمة المراجع.

مشكلة الدراسة

تتعلق مشكلة الدراسة بإشكالية تطور العلاقات الباكستانية الإسرائيلية ودوافع وأهداف لكلتا الدولتين، وذلك بعد خروج العلاقات بينهما إلى النطاق العلني (لقاء وزير خارجية البلدين في تركيا 1 سبتمبر 2005) بعدما كانت لمدة طويلة طي الكتمان بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وتأثير ذلك في القضية الفلسطينية، وصعوبات ومعوقات تقدم وتطور العلاقات بين البلدين مستقبلاً.

منهج الدراسة

ستستخدم هذه الدراسة المنهج التاريخي التحليلي الذي يقوم على تتبع تطور العلاقات الباكستانية الإسرائيلية، ومن ثم تحليل الأسباب والدوافع والأهداف التي حددت هذه العلاقات والصعوبات التي تقف في طريق تطورها مستقبلاً، وذلك لأن هذا المنهج من أكثر المناهج ملائمة لموضوع وأهداف الدراسة. وستعتمد منهجية الدراسة على تحليل المعطيات والتطورات الخاصة بهذه العلاقات من عدة جوانب ومن خلال المسارات المختلفة التي اتخذتها.

فرضية وأسئلة الدراسة

تقوم الدراسة على الفرضية التالية: لقد أثرت أحداث 11 سبتمبر 2001 في تطوير العلاقات الباكستانية الإسرائيلية بخصوص أهداف ودوافع كل منهما سعياً لتطبيع علاقاتهما، مما كان له أثر سلبي واضح على بعض القضايا العربية الإسلامية، وبخاصة القضية الفلسطينية، على الرغم من وجود صعوبات تقف في وجه التطبيع الكامل لتلك العلاقات. وبناء على هذه الفرضية فستحاول الدراسة الإجابة عن السؤال الرئيس التالي: ما هي الدوافع والأهداف التي أدت إلى تطوير العلاقات الباكستانية الإسرائيلية عقب أحداث 11 سبتمبر 2001 (من العداء العلن إلى التصالح العلن)، وما هي الصعوبات التي تواجه عملية التطبيع لهذه العلاقات، وما تأثير ذلك في القضية الفلسطينية ؟

تقسيم الدراسة

بناء على هدف وأسئلة ومشكلة الدراسة سيصار إلى تقسيمها إلى المحاور التالية:

- 1- لمحة تاريخية عن العلاقات الباكستانية الإسرائيلية.
- 2- الدوافع والأهداف الباكستانية من تطوير علاقاتها مع إسرائيل.
- 3- الدوافع والأهداف الإسرائيلية من تطوير علاقاتها مع باكستان.
- 4- الصعوبات التي تواجه تطبيع العلاقات الباكستانية الإسرائيلية.
- 5- تأثير التقارب الباكستاني الإسرائيلي في القضية الفلسطينية.
- 6- الخاتمة: السيناريوهات المستقبلية لتطوير العلاقات الباكستانية الإسرائيلية.

أولاً: لمحة تاريخية عن العلاقات الباكستانية الإسرائيلية

يقول أحد الكتاب والمراقبين اليهود بخصوص تطور العلاقات الباكستانية الإسرائيلية، من العداء المعلن إلى التصالح المعلن، لم تبدأ العلاقات بين باكستان وإسرائيل في الأسابيع الأخيرة بعد لقاء وزيرى الخارجية في الدولتين في الأول من سبتمبر 2005، أو في المصافحات بين أرئيل شارون والرئيس الباكستاني برويز مشرف في أروقة الأمم المتحدة، ولكن تدلل الوثائق والحقائق أن العلاقة بدأت بين البلدين ابتداء من الخمسينيات من القرن الماضي (Haeri, 2005). ويقول الباحث المختص أسعد عبدالرحمن: للبلدين تاريخ طويل من العلاقات السرية وغير المباشرة، وقد شهدت هذه العلاقات كثيراً من التنازلات (عبدالرحمن أ، 2005).

تاريخياً، تمتلك باكستان رصيداً طويلاً في مناهضة الاعتراف بإسرائيل، فمؤسس دولة باكستان الحديثة، الزعيم محمد علي جناح، نقل عنه وقت قيام دولة إسرائيل عام 1948، قوله إن باكستان لن تعترف بإسرائيل حتى لو اعترفت الدول العربية بها. فباكستان ثاني أكبر دولة إسلامية والتي أسست هويتها الوطنية والقومية على أساس الدين الإسلامي، يتمتع شعبها برصيد هائل من الكراهية والعداء لإسرائيل وللحركة الصهيونية، ويعتبر الباكستانيون إسرائيل دولة مغتصبة لفلسطين وللقدس الشريف والمسجد الأقصى ثالث الحرمين الشريفين وأولى القبلتين. إضافة إلى بعض القوى السياسية وأحزاب وتيارات إسلامية كبيرة في باكستان كانت تعتبر، وما زالت، أن جزءاً أساسياً من الشرعية السياسية لأي نظام حاكم في باكستان إنما يكمن في مناهضته للسياسات الإسرائيلية وتأكيد التضامن الكامل للشعب الباكستاني مع القضية الفلسطينية ورفض الاعتراف بإسرائيل (سالمان، 2005).

وعلى المستوى الرسمي، كانت مداخلات مندوب باكستان ظفر الله خان أمام الجمعية العامة بين يدي المداولات السابقة على قرار التقسيم (رقم 181) من أقوى المدافعات غير العربية عن عروبة فلسطين بالكامل في تلك المرحلة الصعبة، ومع أن المواقف العربية، دون استثناء الفلسطينيين، قد انقلبت في غضون ربع القرن الماضي من الحرب الإستراتيجية ضد إسرائيل إلى السلام الإستراتيجي معها، ولكن إسلام آباد استعصمت بمناهضتها لهذه الدولة غير مأخوذة بالنظرية القائلة "إنها بذلك تكون ملكية أكثر من الملك" (الأزرع، 2005، ص 42). مع أن مؤسس الدولة الباكستانية كان يعتبر إسرائيل بأذنها: "الطفل غير الشرعي للإمبريالية الغربية" (Alam, 2004, p, 17).

ومهما يكن الأمر، فقد أقرت الحكومة الباكستانية الحالية أن اللقاءات السرية بين الجانبين استمرت لفترة طويلة قبل أن تصل إلى لقاء اسطنبول عام 2005 (مظلوم أ، 2005). فعدم اعتراف باكستان بإسرائيل لم يمنع بعض القيادات السياسية الباكستانية من اتخاذ مواقف برجماتية تجاه إسرائيل، وكان من أهم مؤشرات وجود بعض أشكال الاتصال بين بعض المسؤولين والممثلين الدبلوماسيين الباكستانيين على مختلف الفترات الزمنية مع إسرائيل، وتعود هذه الاتصالات إلى مرحلة ما قبل إعلان دولة إسرائيل (فرحسات، 2001: عبيد الرحمن أ، 2005)؛ عندما جرى خلال فترة حكومة علي خان (1948-1951) وقبل إعلان دولة إسرائيل عدد من اللقاءات المهمة بين دبلوماسيي البلدين بقصد التأثير على الموقف الباكستاني من قرار تقسيم فلسطين عام 1947.

كذلك استمرت اللقاءات والمحادثات في أوائل خمسينيات القرن الماضي في ظل حكومة خواجه نظم الدين (1951-1953)، وكان من أبرزها اللقاء الذي تم بين الممثل الدائم لإسرائيل في الأمم المتحدة ونظيره الباكستاني (في السابع من أبريل 1952). إضافة إلى اللقاء بين الممثل الدائم لإسرائيل في الأمم المتحدة ووزير الخارجية الباكستانية حينئذ (ظفر الله خان) في نيويورك في الرابع عشر من يناير 1953 (فرحات، 2001/2000، Kumaraswamy).

وقد أثبتت الأحداث التاريخية أنه كلما حدث تقارب بين باكستان والولايات المتحدة، أثر ذلك إيجابياً في العلاقات الباكستانية الإسرائيلية، وكلما بعدت باكستان عن الولايات المتحدة انقطعت تلك الصلات؛ ففي عام 1960 شارك السفير الإسرائيلي في هولندا في الاحتفالات باليوم الوطني الباكستاني بدعوة من السفارة الباكستانية آنذاك، وعندما كان ذو الفقار علي بوتو (وُلد بناظير بوتو) عام 1961 وزيراً للمعادن والبترو، وكان يرأس وفد باكستان في اجتماع للأمم المتحدة، التقى بالمندوب الإسرائيلي، مع أنه قيل أنه لقاء غير رسمي، وعندما أبتعدت باكستان عن الولايات المتحدة ومالت إلى روسيا في عهد وزارة ذو الفقار علي بوتو في أوائل سبعينيات القرن الماضي أيدت باكستان موقف الدول العربية في حرب 1973، وقطعت جميع صلاتها السرية بإسرائيل، حيث حظيت سوريا بتأييد كبير من الحكومة الباكستانية في ذلك الوقت لكون الحكومتين مرتبطتين بالاتحاد السوفيتي (عبدا لباقي، 2005)، علماً بأن باكستان قد كانت قبل ذلك تحظى بدعم من واشنطن وبكين إبان الحركة الانفصالية في بنجلاديش وإنزال الهزيمة العسكرية بها (مقلد، 1979).

وبعد أن أصبح ضياء الحق رئيساً لباكستان أواخر السبعينيات، ومع بدء العمل الأفغاني ضد الاحتلال السوفيتي، اقتربت باكستان من أمريكا لأنها كانت في خط المواجهة الأول، حيث بدأت العلاقات الإسرائيلية الباكستانية تتحرك نحو التقارب، وقيل آنذاك إن الاستخبارات الأمريكية اشترت الأسلحة الخفيفة روسية الصنع التي استولت عليها إسرائيل في حروبها مع الدول العربية في الفترة ما بين 1967-1973، وسلمتها للاستخبارات الباكستانية التي قامت بتسليمها للمجاهدين الأفغان (عبدا لباقي، 2005). ومع نهاية الحرب الباردة، وعودة الحياة الديمقراطية إلى باكستان، أصبح الموقف الباكستاني من إسرائيل وتطبيع العلاقات بين البلدين، يتداول علناً بقوة في الأوساط الباكستانية، وقد أعرب كل من رئيسي الوزراء الباكستانيين بناظير بوتو ونواز شريف عن نيتهما التعامل مع إسرائيل وإقامة علاقات دبلوماسية معها، فحضرت باكستان حفل توقيع اتفاقية السلام الأردنية الإسرائيلية في وادي عربة شاكراً لإسرائيل جهودها لحصولها على طائرات F16 الأمريكية. وعندما دخلت باكستان النادي النووي أواخر تسعينات القرن الماضي (1998)، دخل البلدان في عدة مباحثات رفيعة المستوى لتجنب أي خطأ نووي غير مقصود (عبد الرحمن أ، 2005). وقد تعددت اللقاءات بين الجانبين وامتدت لتشمل التعاون الأمني، وبخاصة خلال فترة الحرب الأفغانية السوفيتية.

وفي هذا السياق، تشير بعض التقارير إلى قيام أجهزة الأمن الإسرائيلية بتدريب المجاهدين الأفغان وبالتنسيق مع القيادات الأمنية الباكستانية، هذا إضافة إلى عقد عدد من الاجتماعات بين المسؤولين الأمنيين من الطرفين على هامش بعض المؤتمرات؛ من أهمها اجتماع عدد من قادة المخابرات الإسرائيلية مع مسؤولين باكستانيين على هامش أحد المؤتمرات الأمنية التي عقدت في الفلبين في فبراير 1996، من أجل التعرف على

وجهة النظر الباكستانية في كيفية مواجهة الإرهاب (فرحات أ، 2001: الوطن السعودية، 2001). وكان البلدان قد توصلا منتصف تسعينيات القرن الماضي إلى تفاهم استراتيجي سري بوساطة أمريكية، وذلك لضمان عدم حدوث سوء فهم يؤدي إلى مواجهة بينهما في صورة تهريب إحداهما أسلحة أو تكنولوجيا نووية إلى دولة معادية للأخرى. وكاد الاتفاق يتحطم في يونيو 2002م على خلفية إسقاط باكستان لطائرة استطلاع هندية مصنوعة في إسرائيل، لولا تجاوز الموضوع (المظلوم أ، 2005: المدني، 2003) وبضغوط أمريكية.

ومن جهة أخرى، فقد شهد عقد التسعينيات نمو جدل مهم داخل المجتمع الباكستاني حول جدوى عدم اعتراف باكستان بإسرائيل، وظهرت اتجاهات تدعم تطوير العلاقات الباكستانية الإسرائيلية، إذ لم تعد قضية الاعتراف بإسرائيل وتطوير تلك العلاقات من المحرمات التي لا تناقش داخل المجتمع الباكستاني، وأصبح هذا الاتجاه متنامياً نتيجة لعدة تطورات من أهمها بدء عملية التسوية السلمية في منطقة الشرق الأوسط، وتطور العلاقات الهندية الإسرائيلية واتخاذها أبعداً استراتيجية، وكانت قضية الاعتراف بإسرائيل قد أثرت في عدة مناسبات، وكان من أهمها خلال عام 1994 عندما أعلنت وزارة الخارجية الباكستانية في 24 أغسطس نية رئيسة الوزراء بنظير بوتو زيارة قطاع غزة في 4 سبتمبر. وتصريح نائب وزير الخارجية الإسرائيلية بأن إسرائيل هي الوحيدة صاحبة القرار في زيارة بوتو من عدمه، وقد أثارت هذه الواقعة النقاش بقول البعض إنه لا يوجد خلافات جوهرية مباشرة بين باكستان وإسرائيل، باعتبار أن باكستان لا تعدو كونها طرفاً ثالثاً في الصراع العربي الإسرائيلي، وكذلك تصريح صديق الفاروق السكرتير الصحفي للرئيس نواز شريف فيما بعد، الذي قال في سبتمبر 1997: "أنه لا يرى ضرراً في اعتراف باكستان بالدولة اليهودية" (فرحات أ، 2001، ص ص 2-3). ولكن بين زيارة شمعون بيريز للهند في أبريل 1993، التي وضعت أسس العلاقات بين البلدين في مجالات مختلفة، وزيارته لها يوم 7 يناير 2002، لا سيما في ضوء التوتر الموقف بين الهند وباكستان عقب حادث الهجوم على البرلمان الهندي يوم 13 ديسمبر 2001، سعت إسرائيل لتتنسق مواقفها مع الهند ضد باكستان وإيران بذريعة مقاومة الإرهاب (أيوب، 2003). وفي سياق التطور في العلاقات الباكستانية الإسرائيلية، قام وفد باكستاني كبير غير رسمي عام 2003 بزيارة إلى إسرائيل وضم هذا الوفد 174 شخصية من بينهم رجال أعمال ومصرفيون وزعماء دينيون وجنرالات متقاعدون، واستمرت هذه الزيارة بضعة أيام، وقد التقى رئيس الوفد جمال قدري (رئيس حركة دينية) رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق أرييل شارون ولكن الاجتماع لم يكن مشمراً حسب زعمه، وادعى قدري أن شارون انسحب من الاجتماع غاضباً، وقد كانت السلطات الباكستانية أعلنت تأجيل زيارة مقرراً أن يقوم بها وفد رسمي لإسرائيل والأراضي المحتلة عام 1967، وعزت سبب التأجيل إلى زلزال 8 أكتوبر والذي دمر العديد من مناطق باكستان (عبدالحكيم، 2003).

وبعد انقلاب برويز مشرف عام 1999 على حكومة نواز شريف المنتخبة، كان بحاجة كبيرة للتأييد الأمريكي للاستمرار في الحكم، لذا بدأت الحكومة الباكستانية تتقدم نحو إقامة العلاقات بإسرائيل بشكل سريع؛ إذ صرح مشرف في الثاني من يوليو 2003: "إنني أريد إيجاد وحدة فكرية بين الشعب الباكستاني حول العلاقات الدبلوماسية مع إسرائيل...". وبعدها التقى مشرف برئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق شمعون بيريز في سويسرا أثناء المؤتمر الاقتصادي العالمي يوم 24 يناير 2004. وبعدها بأشهر التقى مشرف كلمة أمام البرلمان الآثري

في أذربيجان يوم التاسع من يوليو 2004، قال فيها: "إننا نعترف بوجود إسرائيل على الأراضي التي كانت تحت تصرفها وسيطرتها قبل 1967، ونؤيد إنشاء دولة فلسطينية بجانب دولة إسرائيل، ونؤكد على التعايش السلمي بين الدولتين" (عبد الباقي، 2005، ص 3). هذا وقد قبل مشرف دعوة المؤتمر العالمي لليهود لحضور مؤتمرهم في أمريكا عندما كان موجوداً للمشاركة في الجمعية العمومية للأمم المتحدة في سبتمبر 2004، حيث قال رئيس المؤتمر المذكور: "استطعنا أن نقنع الجنرال مشرف بذلك بعد بذل جهود كبيرة". واعتبر رئيس المؤتمر تلك الخطوة بأنها على طريق التطبيع مع إسرائيل، وتفاعل بأن يصبح الجنرال مشرف مثالا لباقي رؤساء الدول الإسلامية بترك التعتن وإيجاد العلاقات والصلات باليهود (عبد الباقي، 2005، ص 3).

فأصبح برويز مشرف أول رئيس باكستاني يخاطب اليهود الأمريكيين (9/18/2004)، فقد قال في خطابه: "ليس لدى باكستان أية مخاصمة أو اختلاف مباشر مع إسرائيل... ونثق بأن إسرائيل لا تشكل خطراً على الأمن القومي الباكستاني". وكذلك تحدث مشرف عن إمكانية جعل العلاقات رسمية بين البلدين عندما تمضي إسرائيل قدماً مع خارطة الطريق (المكتب الإعلامي، 2004، ص 2: Alam, 2004). وكان قد دعا الرئيس مشرف في يونيو 2003 لعقد "حوار وطني" بشأن إمكانية قيام علاقات دبلوماسية كاملة مع إسرائيل، وقال الرئيس مشرف يجب أن نعطي هذا الموضوع اهتمامنا الجدي، فقد خضنا ثلاثة حروب مع الهند ولا نزال نقيم معها علاقات دبلوماسية ونحن لم نخض أي حرب مع إسرائيل (عبد الرحمن أ، 2005). ومن جهة أخرى، أكد رئيس المؤتمر اليهودي الأمريكي جاك روزن أن إسرائيل تتوي إقامة صداقة مع باكستان، وقال إنه التقى الرئيس الباكستاني برويز مشرف 2004 وتبادل معه وجهات النظر خلال زيارته العاصمة الباكستانية إسلام آباد، وأشار إلى أن الجالية اليهودية في الولايات المتحدة تقوم بجمع التبرعات من أجل المساعدة في إغاثة الباكستانيين المتضررين من الزلازل، وأضاف روزن إن إسرائيل لديها الرغبة في أن تكون لديها أنشطة تجارية مع باكستان، ويمكن لها أن تزود إسلام آباد بالأسلحة (associated Press, 2005).

وفي عام 2004 دعى شمعون بيريز الرئيس مشرف لزيارة إسرائيل، وقد رد مشرف: "لو كانت العلاقات بين الدولتين متوطدة، فسيبرني زيارة إسرائيل" (المكتب الإعلامي، 2004). وبعدها بفترة قصيرة عقد وزير الخارجية الإسرائيلي السابق، سيلفان شالوم، مع رئيس مجلس الوزراء الباكستاني شوكت عزيز، اجتماعاً يوم 29/ يناير/ 2005 على هامش اجتماع المنتدى الاقتصادي الإقليمي بمدينة "دافوس" السويسرية، وقد اعتبر المراقبون ذلك مؤشراً على بداية قريبة للعلاقات.

وقد كرر الرئيس مشرف قوله إن عملية السلام تمضي قدماً نحو قيام دولة فلسطينية مستقلة، "سنقوم بخطوات أخرى لتطبيع العلاقات والتعاون، متطلعين إلى علاقات دبلوماسية متكاملة" مع إسرائيل (المكتب الإعلامي، 2004) وقالت صحيفة الديلي تايمز الباكستانية إن المنظمات اليهودية الأمريكية قد لعبت دوراً هاماً خلال السنوات الأخيرة في تشجيع التقارب الباكستاني الإسرائيلي، وأن الاتصالات بين الزعماء اليهود وممثلي الحكومة الباكستانية في الولايات المتحدة وعلى رأسهم السفير الباكستاني السابق في واشنطن (جهانجير أشرف) كانت تجري بصورة منتظمة، وأن هذه اللقاءات تواصلت بدعم من حكومة مشرف من خلال سفيرها الحالي

(جهانجير كرامات) الذي التقى عدة مرات مع باري جاكوبس مدير معهد الدراسات الإستراتيجية في منظمة ليبك اليهودية في واشنطن (صالح، 2005).

وفي أواخر سبتمبر 2005، بعد أقل من ثلاثة أسابيع على اللقاء الذي تم بين وزير الخارجية الباكستاني خورشيد قصوري ونظيره الإسرائيلي سيلفان شالوم في اسطنبول، وفي حديث خاص أجرته صحيفة "جسانغ" الباكستانية مع نائب رئيس الوزراء الإسرائيلي شمعون بيريز، تحدث بيريز عن ضرورة إقامة كل من باكستان وإسرائيل اتصالات مباشرة وإشهارها دون استحياء (ديلواني، 2005). وبعد أيام قليلة قال ناطق باسم الخارجية الإسرائيلية إن بلاده لا تعد باكستان عدوا بل تعتبرها بلدا هاما على صعيد العالم الإسلامي وحريصة على تطبيع العلاقات معها، وفي المقابل كرر مشرف قوله أواخر عام 2005 عبر الإذاعة الباكستانية، إن باكستان لن تعترف بإسرائيل ولن تقيم علاقات تجارية معها حتى يتم إقامة الدولة الفلسطينية، وجاء فيها: "إن باكستان لن تعترف بإسرائيل ولن تقيم معها علاقات تجارية حتى يتم تأسيس الدولة الفلسطينية المستقلة" (Radio Islamabad, 1.10.2005).

الرئيس مشرف قطع خطوة أخرى في شهر يونيو 23/2005/ بالتشديد على ضرورة تفكير إسلام آباد في الاعتراف بالدولة الإسرائيلية، فالسرخين الباكستاني الرسمي للتطبيع مع إسرائيل بدأ يأخذ منحى آخر عبر تصريحات لمسؤولين آخرين ووسط صمت رسمي وحزبي، مما شجع مشرف على تكرار اقتراحه في العديد من المناسبات مقتضلا: لماذا لا يمكن لباكستان الاعتراف بإسرائيل، سيما وأن الدول العربية قد اعترفت بها؟ (ديلواني، 2005). وقد ذكرت صحيفة ديلي تايمز الباكستانية بتاريخ 2005/8/25 أن الاتصالات بين الزعماء الأمريكيين وبين ممثلي الحكومة الباكستانية في الولايات المتحدة الأمريكية والأمم المتحدة لإقامة علاقات بين باكستان وإسرائيل تسير بشكل منتظم، وبخاصة خلال السنتين الماضيتين (مظلوم أ، 2005).

وكما يقول المراقبون فإن الرئيس مشرف قد بدأ بإجراءات الاعتراف السياسي والتطبيع العلني مع إسرائيل رغم معرفته الجيدة بحقيقة مشاعر الشارع السياسي والشعب الباكستاني تجاه إسرائيل، وذلك بوضع القيود على أنشطة المدارس الدينية في باكستان في إطار تجاوبه مع الضغوط الأمريكية بشأن الحرب على الإرهاب، وضرورة اتباع سياسات لاجتثاث جذور ثقافة التطرف الديني وتغيير المناهج التعليمية (سالمان، 2005)، مقابل الحصول على المساعدات الأمريكية، بعد أن تراجعت واشنطن عن وعدها واقتصرت ماعدتها على 400 مليون دولار بدلا من 600 مليون، مما أضعف موقف مشرف داخل باكستان وأمام مجاهدي كشمير (طاهر ب، 2004).

أما على المستوى الاقتصادي، لم يمنع عدم اعتراف باكستان بإسرائيل والتزام باكستان بقرارات المكتب الإسلامي للمقاطعة بدمشق الذي تأسس في يناير 1981، فضلا عن انضمام باكستان في سبتمبر 1994 إلى إعلان المقاطعة البريدية لإسرائيل، لم يمنع كل ذلك من قيام بعض أشكال التجارة المباشرة أو غير المباشرة بين الجانبين، بحيث تم عقد بعض الصفقات التجارية بين المؤسسات الرسمية، كان من أهمها صفقة شراء قطع غيار الطائرات بين الخطوط الدولية الباكستانية وشركة صناعة الطائرات الإسرائيلية عام 1995 (فرحات أ، 2001: المدني، 2003).

وقد اعترف الوكيل المساعد في وزارة التجارة الباكستانية بأنه ليس من الصعب أن تصل البضائع الإسرائيلية إلى السوق الباكستانية عبر وسيط ثالث، معطاً ذلك بالفجوات القائمة في نظام التجارة العالمية، والتي يمكن استغلالها من قبل الشركات العالمية والتجار المحليين على حد سواء (اسلام أون لاين: 2006). فالتبديل التجاري بين البلدين، عبر دولة ثالثة، قد بدأ منذ عام 1992 خلال حكومة نواز شريف الأولى، وأنه في تلك الفترة قدمت الإدارة الأمريكية خلال رئاسة جورج بوش احتجاجاً للسفارة الباكستانية في واشنطن مفاده، تضرر الصادرات الأمريكية من القطن والصوف لإسرائيل بسبب كبر حجم الصادرات الباكستانية من الصوف والقطن للسوق الإسرائيلية عبر دولة ثالثة، وكانت صحيفة معاريف الإسرائيلية قد ذكرت في تقرير لها عام 2006 أن حجم التبادل التجاري الإسرائيلي الباكستاني يصل إلى ملايين الدولارات، مع أنه يتم عبر دولة ثالثة (اسلام أون لاين، 2006: Quiji).

وعلى أية حال، فإن باكستان وهي تسير نحو الاعتراف بإسرائيل وإخراج العلاقات المحرمة في السابق، أدى بها ذلك إلى تحول دراماتيكي مذهل جعل الرئيس برويز مشرف في مقابلة معه يصف شارون بأنه "جندي عظيم وقائد شجاع" (Alam, 2004, p3) نظراً لإقدامه على تنفيذ خطته الخاصة بالانسحاب من غزة، وتبرير وزير الخارجية الباكستاني للقاء اسطنبول (الأول من سبتمبر 2005) بالقول بأنه يأتي تشجيعاً لإسرائيل على مواصلة مسيرة السلام! (ههنا، 2005، ص 3). وقد بررت الصحف الباكستانية تلك الخطوة بدوافع تصب في مصلحة باكستان؛ بعض الصحف الباكستانية قالت إنها ستكون ضربة للرابطة المتنامية بين الهند وإسرائيل، في إشارة إلى الأسلحة المتقدمة التي تباعها إسرائيل للهند، وقالت أيضاً إن الخطوة الباكستانية ستعود بفوائد ملموسة على باكستان من واشنطن حيث نفوذ جماعات الضغط اليهودية، وتخفف الضغوط الغربية التي تتعرض لها باكستان فيما يتعلق بإدارة أسلحتها النووية (الوطن السعودية، 2005).

ثانياً: الدوافع والأهداف الباكستانية من تطوير علاقاتها مع إسرائيل

يرى كثير من المراقبين لتطور العلاقات الباكستانية الإسرائيلية أن هناك دوافع عدة لكلا الطرفين، يكمن وراءها مجموعة من الأهداف، مع أن بعض المحللين والمراقبين السياسيين لا يفرقون ما بين الدافع والهدف، لأن لكل دافعاً هدف ولكل هدف دافعاً. ونتيجة لذلك فسيتم الحديث عنهما كمترادفي لغاية هذه الدراسة، وحسب أهمية كل منهما.

ومهما يكن الأمر، فإن بعض المحللين يرون أن باكستان كانت تسعى من خلال الاعتراف بإسرائيل وتوطيد علاقاتها بها إلى تحقيق جملة من الأهداف، ومن أهمها: وقف الاندفاع الإسرائيلي القوي تجاه الهند، والحصول على مزيد من الدعم والمساعدات الأمريكية، فضلاً عن رغبتها في التعاون العسكري مع إسرائيل، والذي يمكن أن يحقق لها نوعاً من التوازن العسكري مع الهند (صالح، 2005). وبالتالي، فإن باكستان تضع عينها على القدرات العسكرية الإسرائيلية وتقوئها وصناعاتها الحربية المتقدمة والمتنوعة في مجال الأسلحة التقليدية أو الأسلحة غير التقليدية. وتهدف باكستان كذلك إلى الاستفادة من تجربة إسرائيل وعلاقاتها العسكرية مع كل من الصين والهند وتركيا. كما تهدف إلى الحصول على التكنولوجيا الإسرائيلية، أسوة بما حصلت وتحصل عليه الصين، والصديق الحميم لباكستان (مظلوم أ، 2005). وفي هذا السياق، وفي أعقاب تفجيرات 11 سبتمبر 2001

فقد زادت الرغبة الأمريكية في تغيير التوازن الإقليمي ليمتاشى مع التوجهات الأمريكية الجديدة في شبه القارة الهندية. وقد ترافق ذلك مع الرغبة الباكستانية في تحجيم القوة الهندية، ولكن واشنطن في يوليو من عام 2005، توصلت مع الهند إلى اتفاق تم توقيعه مؤخراً (راشد، 2006)، لا يصب في المصلحة الباكستانية. وعلى أية حال، يمكن القول بأن هناك ~~هناك~~ دوافع كانت وما زالت تدعو الباكستان إلى تطوير صلاتها بإسرائيل، ومن أهمها (عبد الباقي، 2005):

1- الدافع الأمريكي: (الدور الأمريكي) يتفق كثير من المحللين والمراقبين على أن الولايات المتحدة لعبت دوراً كبيراً في الضغط على الحكومات الباكستانية المختلفة، وذلك للاعتراف بإسرائيل وتطبيع العلاقات معها؛ لأن إسرائيل هي الحليف الطبيعي للولايات المتحدة، وتريد واشنطن من إسرائيل لعب دور أكبر في الشرق الأوسط الكبير الذي تخطط له، ولن يتم ذلك إلا بتطبيع العلاقات بين إسرائيل ودول العالم الإسلامي، كما صرح الرئيس الباكستاني برويز مشرف عدة مرات بأن الولايات المتحدة تريد من الباكستان أن تلعب دوراً في قضايا الشرق الأوسط؛ فباكستان حريصة دائماً على إيجاد الأسباب التي تجعلها "صديقاً مميزاً" للولايات المتحدة (Hirschberg, 2003, p2). وما يؤكد ذلك هو تاريخ العلاقات بين البلدين، وكانت السياسة العدائية بين الهند والولايات المتحدة إحدى الأوراق المهمة التي لعبت بها الدبلوماسية الباكستانية للحصول على هذا التمايز؛ عضوية باكستان في سياسة الأحلاف الأمريكية، ودورها في الحرب الأمريكية في أفغانستان ضد الاتحاد السوفييتي سابقاً، وضد حركة طالبان وتنظيم القاعدة، كانت مؤهلات جيدة للباكستان بالنسبة لمصالح واشنطن (إدريس، 2005)، وقد استطاعت لباكستان أن توظفها لبناء مفاعلاتها النووية.

بعد التجهيزات النووية التي أجرتها الهند وباكستان في صيف 1998، قامت الولايات المتحدة بفرض عقوبات عسكرية واقتصادية على الدولتين، ولكنها لم تكن مؤثرة بالقدر الكافي لمنع الدولتين من الاستمرار في سباقهما للتسلح النووي، فالهند حينذاك لم تكن تربطها علاقات اقتصادية أو عسكرية مع الولايات المتحدة تجعل من فرض العقوبات ذات جدوى. أما باكستان - وإن كانت تربطها علاقات سياسية واقتصادية وعسكرية قوية بالولايات المتحدة - فإنها استطاعت منذ بداية التفكير في مشروعها النووي تحييد الضغوط الأمريكية عليها، هذا من جانب، ومن جانب آخر، طرأت مستجدات لاحقة، سياسية وعسكرية، على المستوى الإقليمي، جعلت واشنطن تراجع نفسها بشأن العقوبات على باكستان، ومن ثم رفعها كلياً أو جزئياً (دياب، 2005). ولكن أغلبية هذه الأوراق المميزة بدأت تفقد مفعولها خاصة بعد التقارب المهم في العلاقات الهندية الأمريكية، وكان لا بد لباكستان من البحث عن ورقة تمايز أخرى، فجاءت إسرائيل كورقة لتخدم ذلك الهدف (عبد الحكيم، 2003).

وقد كشف صحافيون باكستانيون أن الرئيس مشرف تلقى في يونيو 2003 م وعداً من الرئيس الأمريكي بوش بمساعدات قيمتها 3 مليارات من الدولارات على خمس سنوات بواقع 600 مليون دولار سنوياً في حال الاعتراف بدولة إسرائيل (مظلوم ب، 2005). ثم يأتي قرار إقامة العلاقات مع إسرائيل ليكرس قاعدة باكستانية مفادها أن إسرائيل أصبحت ممراً إجبارياً نحو تحسين العلاقات الباكستانية مع كل من الهند والولايات المتحدة الأمريكية من جهة، ومن جهة أخرى قد يعطيها الأولوية في منظومة تشكل العلاقات مستقبلاً بين إسرائيل والدول الإسلامية، في ظل التحولات السيامية الدولية الراهنة، إذ لم يكن غريباً أن تبرر القيادة الباكستانية خطوتها بشعار

جديد مفاده أن الضغط عبر علاقات أفضل مع إسرائيل، أفضل من الضغط عبر مقاطعتها (مساعدة، 2005). وكان للدور الأمريكي النشاط أكبر الأثر في توصل الجانبين الهندي والباكستاني إلى حل الكثير من القضايا والمشكلات بينهما، وذلك من خلال الضغوط التي مارسها الولايات المتحدة على الطرفين خاصة على الجانب الباكستاني لغاية التفارب مع إسرائيل (ظاهر أ، 2004).

وعلى الرغم من صعوبة الموقف الذي واجهه الرئيس الباكستاني برويز مشرف، فقد اضطر إلى الاستجابة للمطالب الأمريكية، حرصاً على مصالح باكستان الحيوية، خصوصاً فيما يتعلق بتأمين منشآتها النووية، شرط ألا تشارك أي من الهند أو إسرائيل في التحالف، وهو ما استجابت له واشنطن. إلا أن تصاعد التظاهرات الشعبية في باكستان، من قبل الجماعات والأحزاب الإسلامية احتجاجاً على مشاركة باكستان في التحالف الذي تترأسه الولايات المتحدة، أثار مخاوف واشنطن من احتمال سقوط نظام الرئيس مشرف، وتولي نظام إسلامي متشدد السلطة في إسلام آباد وسيطر على الترسانة النووية التي قدرتها الاستخبارات العسكرية الأمريكية عام 1999 بحوالي 585-800 كيلو غرام من اليورانيوم المخصب، ونحو 13 كيلو غرام من البلوتونيوم المفصول (239)، وهو ما يكفي لصنع 30-50 قنبلة نووية (دياب، 2005).

وبالنتيجة، فقد كشفت صحيفة "نيويورك" الأمريكية عن وجود تدريبات أمريكية إسرائيلية مشتركة لسرقة الترسانة النووية الباكستانية من أجل عدم وقوعها في يد حكومة مناوئة لواشنطن حال سقوط نظام برويز مشرف نتيجة تزايد الاحتجاجات الشعبية على تحالفه مع الولايات المتحدة ضد طالبان، وقد بدأت المخابرات الأمريكية تنفيذ الخطة مع كل من إسرائيل والهند، حيث وصلت قوات إسرائيلية خاصة إلى واشنطن وخضعت لتدريبات مشتركة مع أفراد الجيش الأمريكي، وقد نجحت الاستخبارات الباكستانية في إحباط الخطة الإسرائيلية التي كان يجري التحضير لها، والتي تقضي بقصف المنشآت النووية في باكستان بواسطة طائرات وقاذفات إسرائيلية. كانت قد وصلت بالفعل إلى إحدى القواعد العسكرية الهندية، وجرى طلائها بالوإن سلاح الجو الهندي للتدمير. وقد استدعى مشرف سفيري الولايات المتحدة والهند في باكستان محذراً لهما من أي عمل عدائي ضد باكستان (مفكرة الإسلام، 2002).

فالولايات المتحدة الأمريكية تسعى إلى إعادة صياغة المنطقة الشرق أوسطية ورسم الخريطة الجديدة لها وفقاً للمصالح الأمريكية والإسرائيلية؛ فمنذ سيطرة اليمين الصهيوني على الإدارة الأمريكية وهو يتحين الفرصة لبدء تنفيذه (مشروع الشرق الأوسط الكبير) ليضم قوى غير عربية من تركيا إلى باكستان إلى إسرائيل، انتظراً لانضمام إيران بعد إسقاط نظامها، وقد جاءت الفرصة مع أحداث 11 سبتمبر، ولم يكن احتلال العراق إلا البداية، أما النهاية فهي تفكيك المنطقة العربية، ثم إعادة دمجها في كيان هلامي يمتد من أفغانستان حتى موريتانيا، تحت عنوان الشرق الأوسط الكبير، وفي رداء إسلامي فضفاض تذوب فيه الهوية الوطنية وينشغل فيه الجميع بالحروب الأهلية التي ستغمر المنطقة، بينما تركز الولايات المتحدة جهودها على تأمين مناطق البترول وضمان تفوق إسرائيل (عارف، 2005). وفي هذا الإطار، تأتي خطوة التطبيع الباكستاني الإسرائيلي، ويتم اللقاء العلني الأول بين الطرفين على أرض تركيا، وفي لحظة واحدة لم تعد القنبلة النووية الباكستانية (التي دفع العرب معظم تكلفتها، وبخاصة العربية السعودية والجمهورية الليبية) خطراً يهدد إسرائيل؛ وحيث يتم الإعداد

للتحدي القادم للولايات المتحدة من الصين، والذي سيتعاضد له تطور الأمر إلى تحالف صيني روسي، في ظل عقيدة أمريكية تؤمن بأن القرن الحادي والعشرين هو قرن أمريكي، رافضة أي مشاركة حقيقية في تسيير شؤون العالم، ومؤكدة على الحروب الاستباقية لمنع ظهور أي قوة منافسة لها على زعامة العالم (عارف، 2005).

2- رغبة الرئيس مشرف بالاحتفاظ بالسلطة، للرئيس مشرف رغبة جامحة في البقاء في السلطة بالاعتماد على واشنطن، وذلك لأن من أهم عوامل بقاء سلطته هو التأييد الأمريكي؛ فهو يقدم لها تنازلاً عقب تنازل بعد التقارب الأمريكي الهندي الذي حصل مؤخراً، من أجل إعادة ضخ الثقة الأمريكية بنظام برويز مشرف؛ لأن الولايات المتحدة تريد ضماناً إضافية لأي عملية دعم سياسي أو مالي؛ فالديون الخارجية الباكستانية التي تتجاوز الأربعين مليار دولار والتي تستهلك أكثر من 3 مليار دولار سنوياً لسدادها، بحاجة لمن يساعد في سدادها، لأن واشنطن كانت قد وعدت مشرف عام 2003 بمساعدات تصل إلى 3 مليار دولار خلال خمس سنوات، أي 600 مليون كل سنة، كما ذكر سابقاً. وقد أعلنت باكستان عقب ذلك عن أملها في أن تستكمل الولايات المتحدة الإجراءات اللازمة من أجل تسليم باكستان 75 طائرة من طراز إف-16 متعددة المهام دعماً لنظام الرئيس مشرف في أسرع وقت ممكن (مظلوم أ، 2005 : حسين، 2005).

3- محاولة لإقناع الغرب بانفتاح الباكستان فالحكومة الباكستانية الحالية تبذل الجهود الكبيرة لكسب تقنع الغرب بأنها صاحبة نظرية "الوسطية المستبصرة"، وذلك لكي تزيل ما يلحق بالمجتمع الباكستاني من تهمة التشدد والإرهاب، واتهام مشرف بأنه لا يقوم بما يلزم لتجفيف خطر التطرف والأصولية، لتقول هذه الحكومة إن حل القضايا الإسلامية مثل قضية كشمير وفلسطين جزء من هذه النظرية مرددة مقولة إن المتطرفين والمتشددين لا يتجاوزون 2% من المجتمع الباكستاني، علماً بأن المدارس الإسلامية وصلت إلى 20-40 ألف مدرسة خلال التسعينات، بعد أن كانت 900 مدرسة عام 1971م (مظلوم أ، 2005). فالمنطق الباكستاني الذي أصبح يطفو على السطح يذهب إلى أن التحولات الباكستانية في مجال الانخراط غير المشروط في المشروع الأمريكي أصبح ضرورة حياة لمكافحة الإرهاب ومعالجة التطرف الإسلامي في الداخل والذي انعكس ضغطاً عسكرياً على منطقة القبائل المحاذية لأفغانستان.

4- العمل على تحييد إسرائيل في الصراع الهندي الباكستاني، وذلك بسبب المخاوف الباكستانية من تصارع وتيرة العلاقات الإسرائيلية الهندية وتحولها إلى استراتيجية تترجم نفسها في صفقات تسليح ضخمة بين الجانبين (حسين، 2005)، والرغبة الباكستانية في التعاون مع إسرائيل اقتصادياً وتجارياً وعسكرياً أسوة بالهند، وتحييد التحالف الهندي الإسرائيلي وعدم تفرد الهند بها (راشد، 2006). فقد كانت المعارضة الباكستانية تنتظر للتقارب الهندي الإسرائيلي على أنه يهدد الأمن القومي الباكستاني؛ فقد كتبت الصحف الباكستانية في عام 1999 أن إسرائيل كانت تريد الهجوم المباغت على المفاعلات النووية الباكستانية وتدميرها بمساعدة الهند كما عملت بالمفاعل النووي العراقي عام 1981.

فالتعاون النووي الإسرائيلي الهندي أجبر القوى الرئيسة في باكستان على التفكير في التخلص من خطر التحالف الهندي الإسرائيلي، فكانت فكرة التقارب الباكستاني الإسرائيلي التي توسط من أجلها رئيس الوزراء

التركي (رجب طيب أردوغان)، لذلك كان من الضروري لباكستان سرعة التحرك لاحتواء هذا التقارب الهندي الإسرائيلي، لأنه مكن الهند، من الاستفادة من خبرات تكنولوجيا إسرائيلية قد تساعد في زيادة الخلل في توازن القوى بين باكستان والهند. ووفق ما قال أحد المراقبين: "العلاقات الهندية الإسرائيلية وبخاصة في المجال العسكري قد جعلت باكستان أكثر توتراً" (Chadda, 2005, p9).

5- محاولة زيادة الضغوط على الهند بخصوص مسألة كشمير؛ فباكستان تحاول البحث عن حل لقضية كشمير، وذلك على اعتبار أن انسحاب القوات الإسرائيلية من قطاع غزة، سيؤدي موقف باكستان من وجهة نظر مشرف، وذلك بالضغط على الهند لسحب قواتها من بعض أراضي كشمير المحتلة. وكما يقول المراقبون أنه من المؤكد أن هجمات 11 سبتمبر 2001 ضد الولايات المتحدة وتبعاتها قد تركت تأثيرات مباشرة على مواقف الهند وباكستان من الأزمة الكشميرية، كما تركت آثاراً واضحة على علاقاتها الثنائية (الشيخ، 2002).

كل هذه العوامل أضحت إلى فتاعات باكستانية متزايدة بضرورة تسوية عدد من القضايا بشكل جذري مثل القضية الكشميرية التي اتخذت القيادة الباكستانية قراراً استراتيجياً بالتوصل إلى تسوية بشأنها مع الهند بعد حربين أنهكتا باكستان، وهي المسألة التي زادت الشبهات الأمريكية حول علاقة الاستخبارات الباكستانية بالتطرف الإسلامي، حيث لا تزال الذاكرة الأمريكية نشطة حول العلاقة التي ربطت هذه الاستخبارات ونظام طالبان منذ تأسيسه في مدارس الشريعة في باكستان والشكوك المتزايدة باستمرار هذه العلاقة حتى اليوم، ثم يأتي قرار إقامة العلاقات مع إسرائيل ليكرس قاعدة باكستانية مفادها أن إسرائيل أصبحت ممراً إجبارياً نحو تحسين العلاقات الباكستانية مع كل من الهند والولايات المتحدة من جهة، ومن جهة أخرى قد يعطيها الأولوية في منظومة تشكل العلاقات مستقبلاً بين إسرائيل والدول الإسلامية (جمال، 2005: Jerusalem, 2005).

لقد اتخذت مشكلة كشمير بعد أحداث 11 سبتمبر منحى جديداً إذ سعت الهند وإسرائيل إلى توظيف الحملة الأمريكية ضد الإرهاب لتصفية مشكلة كشمير من خلال وضع منظمات المقاومة الكشميرية على لائحة المنظمات الإرهابية التي تسعى واشنطن إلى تصفيتها، وانفقت الهند والولايات المتحدة على الهدف ولكنهما اختلفا حول توقيت تنفيذه؛ بينما رأت واشنطن تأجيل الملف الكشميري إلى ما بعد انتهاء حربها في أفغانستان، حتى لا يفسد فتح هذا الملف علاقاتها مع باكستان، ولكن الهند رأت أنه من المهم فتح الملف على الفور، مع تركيز الولايات المتحدة على بناء تفاهم استراتيجي واسع مع الهند كجزء من سعيها لتحضير المسرح الاستراتيجي الآسيوي لمواجهة القادة مع الصين، في مقابل محاولة باكستان العمل على منع إقامة هذا التفاهم من خلال التعاون الوثيق مع الولايات المتحدة في المسرح الأفغاني (سليم، 2005).

6- رغبة إسلام آباد في تأمين قدراتها النووية والحيلولة دون إدراجها في لائحة الضغوط الغربية فالرئيس مشرف يدرك أن إسرائيل واليهود الأمريكيين يمكنهم القيام بدور مهم للحصول على دعم أمريكي بشأن القدرات النووية الباكستانية، وهذا يفسر حضور الرئيس برويز مشرف المؤتمر اليهودي الأمريكي بعد أسبوعين من تاريخ اللقاء الباكستاني الإسرائيلي (1 سبتمبر 2005) وقوله بافتخار: "سأكون أول مسلم يخاطب اليهود الأمريكيين... لا ينبغي أن يؤثر هذا غضب أحد" (إريس، 2005، ص 17). ويأتي في هذا المقام تطوع الباكستان إلى التعاون مع إسرائيل في مجال الصواريخ أرض-أرض بعد إحراز الأخيرة تقدماً كبيراً في صناعتها

ووصولها إلى استخدام الأرقام الاصطناعية منذ عام 1989، وبخاصة في مجال دقة التوجيه وإطالة مدى الصواريخ الباكستانية، كما تتطلع باكستان للتعاون مع إسرائيل في مجال الأسلحة النووية (باكستان حديثة العهد في النادي النووي 1998) لأن إسرائيل دولة نووية منذ أكثر من 40 سنة وسبقت الهند في امتلاكها السلاح النووي (أول تجويز نووي للهند عام 1974).

7- إدراك القيادة الباكستانية لأبعاد المشروع الأمريكي القاضي بإعادة رسم استراتيجية التحالفات الأمريكية على مستوى العالم، وإعادة الصياغة السياسية لبعض المناطق الساخنة ومنها شبه القارة الهندية، نتيجة للحاجة الأمريكية لخلق مناطق ضغط مستقبلية على الصين ومحدودية الدور الذي يمكن أن تؤديه باكستان في هذا المجال، ما استوجب التحرك الأمريكي نحو الهند على اعتبارها من الدول المستقرة سياسياً بخلاف باكستان. إضافة لما تمثله الهند من بنية اقتصادية ونقل ديمغرافي تسمح باعتماد الأمريكيين عليها، وهذه مؤشرات مثقلة للباكستانيين في إمكانية الاعتماد الأمريكي الكامل مستقبلاً على الهند في مقابل تراجع مكانة باكستان (مساعدة، 2005)، مما أدى إلى التفكير الباكستاني بضرورة التفاهم مع واشنطن وتل أبيب، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإنه مع نهاية الثنائية القطبية فقدت حركة عدم الانحياز مبرر وجودها، وفي ذروة الحرب الباردة كانت هذه الحركة المنندی الأهم في العالم الذي يسعى إلى عزل إسرائيل، مثلما كان النفوذ المتعاضم لتلك الحركة وراء معظم القرارات المعادية للدولة اليهودية في الأمم المتحدة، والعداء الهندي الباكستاني لعب دوراً كبيراً في التقرب بين إسرائيل والهند في ضوء عدائهما المشترك لباكستان (عبدالرحمن ب، 2005).

وكذلك فقد شكل التعاون بين الباكستان والصين حجر الزاوية في تطوير القدرات النووية الباكستانية، وارتكز هذا التعاون على الندية والشراكة وتبادل المنافع، وقد كانت التجارب النووية الباكستانية محكومة بدوافع أمنية وسياسية معقدة، وذلك لأن التجارب الهندية قد أوجدت خللاً خطيراً في الميزان العسكري بين الهند وباكستان ولمصلحة الهند (عطوي، 1998). كل هذه المتغيرات الإقليمية والدولية أوجبت ضرورة التقارب بين باكستان وإسرائيل لتحقيق نوع من التوازن في علاقاتها الإقليمية والدولية.

8- تقول الباكستان إنها أقدمت على الاتصال بإسرائيل ليكون لها دور في حل القضية الفلسطينية، ويقول الرئيس مشرف بهذا الخصوص: "إننا أقدمنا على إجراء المحادثات وإيجاد الصلوات مع إسرائيل للحفاظ على مصالح الشعب الفلسطيني... يجب أن تغير باكستان سياساتها الخارجية حسب مقتضيات الزمان... ستخفف وطأة الإرهاب عن العالم كثيراً بحل قضيتي كشمير وفلسطين... استشرنا الفلسطينيين، واستشرنا الملك عبدالله ملك السعودية حول إجراء المحادثات مع إسرائيل وهم يؤيدون موقفنا، هناك تقدم ملموس نحو حل القضية الفلسطينية بعد انسحاب إسرائيل من غزة، وقد تقوم باكستان في هذه الظروف بأداء دور في حل القضية الفلسطينية... إذا حلت القضية الفلسطينية لا يمكن في هذه الحالة أن تبقى باكستان منعزلة، ولا بد أن تعترف بإسرائيل (عبد الباقي، 2005، ص5). أما وزير خارجية الباكستان فقد قال في حوار له مع إذاعة BBC في الثاني من بتمبر 2005: "إن الخطوة التي خطتها إسرائيل بإخلاء غزة لم تكن خطوة عادية، ومن هنا أردنا أن نساهم في حل النزاع الفلسطيني الإسرائيلي بعد الخطوة المذكورة، وهذا لا يمكن بدون العلاقات والحوار، ولذلك قررنا أن يكون لنا نوع من العلاقة العلنية بإسرائيل، إلا أننا لم نعترف بها" (عبد الباقي، 2005، ص6).

وقد ذكر رئيس الوزراء الباكستاني شوكت عزيز أمام البرلمان الباكستاني بأننا أقدمنا على العلاقة العنيفة بناء على طلب محمود عباس الرئيس الفلسطيني الذي كان قد طلب من الرئيس مشرف في زيارته لباكستان بأن يلعب دوراً في حل القضية الفلسطينية، وذلك بإشارته إلى تفاهم الباكستان مع الحكومة السعودية حول هذا الموضوع، وقولهم بأن الدول العربية تقوم بتطبيع العلاقات مع إسرائيل، والحكومة الفلسطينية تجري المحادثات منذ سنوات طويلة؛ فلماذا تتأخر باكستان خاصة في إقامة العلاقات بإسرائيل، وهي التي أيدت الفلسطينيين والعرب؟ فهل يصح أن نكون ملكيين أكثر من الملك نفسه؟! (عبد الباقي، 2005، ص8).

ثالثاً: الدوافع والأهداف الإسرائيلية من تطوير علاقاتها مع باكستان

لقد ظهر توجه إسرائيلي عالمي، وبشكل خاص في آسيا، وخاصة تجاه القوى الآسيوية الرئيسة مثل الصين وروسيا الاتحادية والهند للترويج لفكرة إقامة تحالف أمريكي-هندي-إسرائيلي لمواجهة المد الأصولي المسمى عند هذه الدول (أمريكا، الهند، إسرائيل) بـ "الإرهاب الإسلامي" القادم من آسيا، باعتباره عدواً مشتركاً، وبخاصة بعد تضائل أهمية كل من باكستان وإيران بالنسبة للولايات المتحدة، وبخاصة بعد نجاح الإسلاميين في بسط سيطرتهم على إيران عندما أطاحوا بنظام الشاه (رميح، 2002). أما بالنسبة لباكستان، فإسرائيل تحاول أن تثبت أن أهميتها ثلاثت كحاجز لصد وانتشار الشيوعية بعد تفكك الاتحاد السوفيتي، وأن كل من طهران وإسلام آباد أصبحتا مصدر خطر على الوجود الأمريكي في آسيا والشرق الأوسط؛ الأولى بنظامها الإسلامي المعادي لواشنطن وسعيها لامتلاك السلاح النووي، والثانية لنجاحها في امتلاك أسلحة نووية وبروز ما يسمى بـ "القنبلة النووية الإسلامية"، والخوف من وقوعها في يد الحركات الإسلامية المعارضة في الشارع الباكستاني أو بين صفوف الجيش والمخابرات (مفكرة الإسلام، 2002؛ حتى، 2002).

وعلى أية حال، فهناك دوافع وأهداف متعددة لإسرائيل من تطوير علاقاتها مع باكستان، وعلى رأسها، التخوف الإسرائيلي من إقدام باكستان بتصدير التقنيات النووية لبعض الدول الإسلامية الأخرى ومن بينها إيران، مما عزز الاعتقاد لدى الساسة الإسرائيليين بأن التطبيع سيساعد على ضبط السلاح النووي الباكستاني وضمان عدم استعماله ولو نظرياً ضد إسرائيل، وكذلك فإن الاختراق الإسرائيلي سيضع دولاً إسلامية أخرى على انتهاز الطريق نفسها مما يشكل دعامة نفسية ومادية لبعض الدول العربية لتسريع عمليات التطبيع بشكل علني بعدما جرت بأشكال مختلفة كالمكاتب التجارية والإعلامية والمؤتمرات الاقتصادية والعلمية (حسين، 2005)؛ فإسرائيل تسعى لكسر جدار العزلة وتطبيع علاقاتها مع أكبر عدد من البلدان العربية والإسلامية مثل أندونيسيا وماليزيا، وبنجلاديش، خاصة ولأنها لم تتمكن من إقامة علاقات دبلوماسية كاملة إلا مع أربع دول إسلامية فقط هي مصر والأردن وتركيا وموريتانيا؛ فإسرائيل تهدف من قضية التطبيع مع الدول العربية والإسلامية إلى "كسر حاجز المقاطعة من يد المفاوض الفلسطيني" الذي يطالب من العرب والمسلمين إرجاء الحديث عن التطبيع مع تل أبيب إلى ما بعد إعلان دولة فلسطينية وعاصمتها القدس الشريف وفق حدود 1967 (عارف، 2005).

ومهما يكن الأمر، فإنه يمكن تلخيص الدوافع والأهداف الإسرائيلية من تطوير علاقاتها مع باكستان بما يلي (مظلوم، 2005):

1- محاولة إسرائيل ترويجها لمقولة أن مدخل تطوير العلاقات بين أي دولة والولايات المتحدة يمر عبر إسرائيل، لا سيما وأن الهند المنافس التقليدي لباكستان تتمتع بعلاقات جيدة مع واشنطن بسبب علاقاتها الإستراتيجية مع إسرائيل، وكذلك لكي تتمكن إسرائيل من ممارسة سياسة الاحتواء المزدوج لقضية كشمير بين باكستان والهند (Kumaraswamy, 2000). وبذلك ستتمكن إسرائيل من إمساك العصا من الوسط، بحيث ستتحكم بناصية إدارة الأزمة واستثمارها بحسب المصالح الخاصة بها لتكون دولة إقليمية كبرى ولاعباً أساسياً فيها.

2- تعد عملية تطبيع العلاقات مع باكستان مقدمة لتطبيع العلاقات مع عدد من الدول العربية والإسلامية، لذلك فقد نشرت بعض الصحف الإسرائيلية أن عشر دول عربية مرشحة لإقامة علاقات مع إسرائيل بعد باكستان؛ من الدول العربية الإمارات العربية المتحدة، سلطنة عمان، قطر، البحرين، اليمن، ليبيا، تونس، المغرب، وإسبانيا أندونيسيا. وقد أوضحت صحيفة معاريف بتاريخ 2005/9/13 (بقلم يواف برومر) بعنوان "الخوف من التحول الديمقراطي في العالم العربي"، إن إسرائيل ترى في إقامة علاقات مع الدول الإسلامية ضماناً لزوال خطر التهديدات عليها، غير أنه على إسرائيل أن تعرف أولاً ما هو الثمن الحقيقي للعلاقات مع دول إسلامية وعربية قبل أن تمنّي نفسها بجني ثمار تلك العلاقات (صحيفة معاريف، 2005).

3- تعزيز المكانة الإسرائيلية في هيئة الأمم المتحدة؛ وبخاصة في الجمعية العامة للأمم المتحدة وعلى هامش أعمال الجمعية العامة التي تمثل دول العالم، عقب الانسحاب من قطاع غزة، وإعلان بينيامين نتنياهو الوزير الاستقالات، وترشيح نفسه لزعامة حزب الليكود معارضا للانسحاب من قطاع غزة ومن أي جزء آخر، وعلى أمل تحقيق تقدم في المستقبل تجاه عملية السلام.

4- يستهدف الاختراق الإسرائيلي بشكل أساسي موقع باكستان الجيوسياسي، لأن ثل ألبسب مستمكن من الوصول إلى قلب آسيا وما يحتويه من ملفات ساخنة قابلة للاستثمار الإقليمي والدولي؛ فباكستان هي شرق إيران وجنوب الصين والأهم أنها غرب الهند (حمين، خل 2005).

5- الرغبة الإسرائيلية في تطوير كل من باكستان وإيران ومراقبة التطورات العسكرية والنووية لكل منهما، ومحاولة إسرائيل أيضاً الإحياء للدول الغربية وخاصة الولايات المتحدة بأن دورها الإستراتيجي القديم المناطق بها لمنع التغلغل الشيوعي في المنطقة ما زال قائماً، ولكن هذه المرة في مواجهة التغلغل الإسلامي "المتطرف"، وبأن المصلحة الإسرائيلية تكاد تتطابق مع مصلحة الولايات المتحدة في هذه المنطقة (طاهر ب، 2002 : Der Spiegel, 2005).

6- تتطلع إسرائيل إلى التعامل العسكري والتجاري مع باكستان فسي ضوء أهمية القدرات العسكرية والصناعات الحربية الإسرائيلية والتي تعد محركاً هاماً في علاقاتها الخارجية الرسمية والسرية، والبيع لكل من يدفع الثمن بصرف النظر عن هويته، وحاجة باكستان لتلك القدرات.

ومن المحتم أن نشير أن هناك العديد من الصعوبات والإشكاليات التي تواجه عملية تطبيع العلاقات الباكستانية الإسرائيلية، بعضها ينبع من طبيعة المجتمع الباكستاني وبعضها الآخر يتعلق بطبيعة الدولة الإسرائيلية، بالإضافة إلى عقبات تتعلق بالبيئة الخارجية لكلا الدولتين.

رابعا: الصعوبات والإشكاليات التي تواجه طريق تطبيع العلاقات الباكستانية الإسرائيلية
تقد أصدر المعهد السياسي العام في القدس تقريراً مطولاً (في 2 سبتمبر 2005) تناول فيه جملة من الصعوبات التي تواجه تطبيع العلاقات الباكستانية الإسرائيلية، بعنوان "إسرائيل وباكستان... طريق ملي بالصعاب"، وقد وضع التقرير عدد من كبار الخبراء في المعهد (أمثال البروفيسور إيلي أفينين أستاذ العلوم السياسية في جامعة تل أبيب، وشلومو منور أستاذ العلوم السياسية في جامعة حيفا، وبعض القادة العسكريين). وذلك يعد الاطلاع على الكتابات الباكستانية الكثيرة حول هذا الموضوع، والالتقاء بعدد من الرسميين الباكستانيين، وسبر غور الشارع الباكستاني، وكان المعهد الذي وضع التقرير يتحدث عن وجهتي النظر الإسرائيلية والباكستانية، وهذا التقرير يلقي الضوء على هذه الصعوبات التي تواجه طريق السلام بين الطرفين، باعتبارها ملينة بالألغام السياسية التي من الممكن أن تنفجر في أي وقت، مما يتطلب الحذر الإسرائيلي، كما يقول التقرير، ومن أهم هذه الصعوبات ما يلي (إبراهيم، 2005):

1- يهود باكستان

تواصل الاحتجاجات من قبل اليهود الباكستانيين (ذوي الأصول الباكستانية) ممن هاجروا إلى إسرائيل وإلى عدد من الدول الأخرى منذ الإعلان عن التقارب الإسرائيلي الباكستاني. وذلك نتيجة لعدم شعورهم بالأمن في باكستان بعد أن استقروا بها بعد تقسيم شبه الجزيرة الهندية إلى دولتين 1947. وتقول الوكالة اليهودية في تقريرها السنوي الذي يرصد مشاكل اليهود عبر العالم أن يهود باكستان لهم ملايين الدولارات لدى حكومة إسلام آباد يجب أن تعاد لهم مع الفوائد التي جنتها الحكومة منها، وقد طالب اليهود الرئيس برويز مشرف بهذه الأموال أثناء اجتماعه عام 2005 مع الجاليات اليهودية في الولايات المتحدة، وقد تعهد مشرف بدراسة طلبهم جدياً مع اهتمامه الشخصي بهذه المسألة، وما زال اليهود يطالبون بوجوب ضرورة استرداد هذه الممتلكات أو دفع تعويض مادي مضاعف عنها بعد إقامة العلاقات بين الطرفين الإسرائيلي والباكستاني مباشرة، وقد تفاقمت هذه المشكلة وأصبحت أكثر تعقيداً بعد أن قدم - ما يسمى بـ اتحاد اليهود في شبه الجزيرة الهندية، وهو الاتحاد الذي يتخذ من القدس مقراً له- طلبات بهذا الخصوص إلى رئيس الوزراء السابق إرئيل شارون ووزير الخارجية سيلفان شالوم وعدد من أعضاء الكنيست، يطالبون فيها بضرورة البحث في قضايا التعويض التي يستحقونها قبل أي تحرك سياسي تقوم به إسرائيل تجاه باكستان.

2- العلاقة مع الهند

من المشاكل التي ذكرها التقرير العلاقات مع الهند، إذ توقع عدد من القادة العسكريين السابقين في الجيش الإسرائيلي أن يؤدي هذا التقارب الإسرائيلي مع باكستان إلى توتر العلاقات مع الهند، خاصة وأن العلاقات بين إسلام آباد ونيودلهي ليست على ما يرام في الأساس، وذلك بسبب صراعهما الدائر على إقليم كشمير وعدد من القضايا العالقة الأخرى مثل الملف النووي وسباق التسلح العسكري الجاري بينهما، وتتضح هذه المشكلة أيضاً

لأن إسرائيل تولي أهمية كبيرة لعلاقاتها مع الهند في القارة الآسيوية، ويحذر كبار العسكريين الإسرائيليين من خسارة إسرائيل للكثير حال توثيقها العلاقات مع باكستان على حساب الهند، وبخاصة مع وصول العلاقات بين الجانبين الهندي والإسرائيلي إلى مرحلة متقدمة في العديد من المجالات، وعلى رأسها المجال العسكري الهادف إلى محاربة ما يسمونه بـ "الإرهاب" وبخاصة المساعدة الإسرائيلية في كشمير ضد الجماعات الإسلامية هناك، وبناء على ذلك، فإن العديد من اليهود من الأصول الهندية يعربون عن غضبهم من هذا التقارب الإسرائيلي الباكستاني، باعتبار ذلك بمثابة إعلان للحرب على الهند.

3- كراهية الشعب الباكستاني لإسرائيل

هذه الكراهية تسيطر على أغلب الباكستانيين الذين لا يوافقون على تطبيع العلاقات مع إسرائيل، ودليل ذلك حالة الغضب والحقن الكبيرتان اللتان سيطرتا على قادة الحركات الإسلامية ذات الشعبية الكبيرة في باكستان بعد لقاء الأول من سبتمبر 2005 بين وزير الخارجية البلدي في تركيا، بتأثيرها على توجهات الشارع الباكستاني بقوة، لشعورهم بأن إسرائيل مازالت تقتل الفلسطينيين وتحتل المسجد الأقصى وتنتهك المقدسات الإسلامية من دون أي احترام للمشاعر الإسلامية، وقد زادت المعارضة الشعبية قوة لحكومة مشرف حيث تجاوزت مجرد التعبير السلمي عن الرفض والاحتجاج لتصل إلى قيام تلك التظاهرات السلمية بحرق صور وتمثيل للرئيس مشرف وذلك عقب شريط الفيديو الذي بثته قناة الجزيرة القطرية لأمن الظواهي، الرجل الثاني في تنظيم القاعدة، والذي اتهم مشرف بالخيانة للإسلام ولشعبه والعمالة ل واشنطن (عبد الفتاح، 2004). وما حصل في وزيرستان مؤخراً ما هو إلا أكبر دليل على سحق الشعب على الحكومة الباكستانية المتعاونة مع واشنطن خليفة تل أبيب.

4- اعتماد التقارب الباكستاني الإسرائيلي على بعض القوى الإقليمية التي باتت تمارس دوراً مهماً في العملية السياسية، من أمثال تركيا التي تقود ما يسمى بـ "التطبيع الإسلامي" مع إسرائيل، وحدثت الخلافات بين إسرائيل وهذه القوى حول الكثير من السياسات الإسرائيلية في الأراضي العربية المحتلة. وفي المقابل، فإنه على الرغم من برامج الرئيس مشرف وقدرته على استغلال اللحظة الراهنة لاتخاذ قرار تطوير العلاقات الباكستانية الإسرائيلية، إلا أن مستقبل هذا التوجه في السياسة الباكستانية تواجهه عدد من الإشكاليات، ومن أهمها (فرحان أ، 2005):

أ- الإشكالية الأولى تتعلق بطبيعة الدولة الباكستانية ذاتها، واستنادها إلى الدين الإسلامي كأساس للقومية الباكستانية وأحد محددات سياستها الخارجية (K, 2004)، وذلك رغم تزايد توجه البراجماتي في صناعة السياسة الخارجية الباكستانية، إذ مثل رفض الكيان اليهودي أحد العناصر الأساسية للحفاظ على التوجه الإسلامي للسياسة الخارجية الباكستانية.

ب- الإشكالية الثانية تتعلق بطبيعة النظام السياسي الباكستاني في المرحلة الراهنة، والذي يواجه مشكلات عدم استقرار داخلي، وعدم استقرار عملية التحول الديمقراطي (Kumaraswamy, 2000)، وعدم قدرة نظام مشرف على تطوير مصادر جديدة لشرعية نظامه، الأمر الذي يفرض عليه تجنب إثارة القضايا الخلافية الحادة في المجتمع الباكستاني، وفي مقدمتها قضية العلاقة مع إسرائيل، وكذلك يعد تنبؤ

خطاب داعم للقضية الفلسطينية ومتمشدد ضد إسرائيل إحدى الآليات المستقرة في بناء شرعية أي نظام سياسي جديد في باكستان.

ج- الإشكالية الثالثة تتعلق بسقف المكاسب المتوقعة لتطوير العلاقات الباكستانية الإسرائيلية؛ إذ يمكن القول إن تطور العلاقات الهندية الإسرائيلية ووصولها إلى مستويات متقدمة خاصة على مستوى التعاون العسكري والدفاعي، ربما يحولان دون تطور العلاقات الباكستانية الإسرائيلية إلى مستويات مماثلة. وعلى الرغم من التطورات المتلاحقة المهمة التي شهدتها عملية تطبيع العلاقات الباكستانية الهندية خلال العامين الأخيرين والبحث في تصورات عملية لتسوية الصراع التقليدي بين البلدين بما في ذلك مشكلة كشمير، ومن ثم تراجع احتمالات استهداف المحور الهندي الإسرائيلي لباكستان، ولكنه من الصعب توقع انضمام باكستان إلى المحور الهندي الإسرائيلي، كذلك يصعب تطور التعاون الباكستاني الإسرائيلي مستقبلا ليشمل المجال العسكري، نظرا لصعوبة قبول إسرائيل السماح لباكستان بالانفتاح على أنظمة ومعدات التسليح الإسرائيلية.

ستبقى هذه الصعوبات والإشكاليات عقبة كبيرة في سبيل تحقيق التقارب الباكستاني الإسرائيلي، ومن ثم تطبيع العلاقات بينهما، وذلك لأن أغلب الباكستانيين لا يوافقون على تطبيع العلاقات مع إسرائيل لشعورهم الدائم بأن إسرائيل دولة مغتصبة ما زالت تقتل الفلسطينيين وتحتل المسجد الأقصى وتنتهك بوميا المقدسات الإسلامية.

خامسا: تأثير التقارب الباكستاني الإسرائيلي على القضية الفلسطينية

منذ تأسيس الدولة الباكستانية وهي تتبنى خطابا داعما للقضية الفلسطينية، وتدعم الموقف العربي في الصراع العربي الإسرائيلي، ولكن منذ مطلع تسعينيات القرن الماضي، وبدء عملية التسوية السلمية بين العرب وإسرائيل، ومع تطور العلاقات الهندية الإسرائيلية وسيرها بخطوات إستراتيجية، فقد أدركت باكستان أن تمسكها بعدم الاعتراف بإسرائيل قد بدأ يفقد قيمته، وبخاصة بعد أن أخذت بعض الدول العربية والإسلامية في توقيع اتفاقات سلام مع إسرائيل، ومن ناحية أخرى، فبعد التقارب بين الباكستان والهند خاصة في مجال التسليح وسبل تسوية مسألة كشمير، أدى ذلك إلى تراجع أهمية الورقة العربية في إدارة النزاع الباكستاني الهندي؛ إذ كانت الدول العربية تؤيد باستمرار الموقف الباكستاني المطالب بتسوية هذا النزاع وفق قرارات الأمم المتحدة، هذا إضافة إلى الدعم المالي الذي كانت تقدمه بعض دول الخليج لباكستان، والعمالة الباكستانية في السوق الخليجي (صالح، 2005 : 2004، k).

وكانت باكستان تؤكد بأن اعترافها بإسرائيل مرتبط بالعملية السلمية لتحقيق سلام عادل ودائم وشامل في الشرق الأوسط ووفق قرار موحد ومشترك من الدول الأعضاء في منظمة المؤتمر الإسلامي بعد نجاح العملية السلمية في المنطقة، وانسحاب إسرائيل من مرتفعات الجولان المحتلة (ديلواني، 2005). وعلى الرغم من حرص باكستان بخصوص الصراع العربي الإسرائيلي على التوافق مع الموقف العربي بشكل عام، بدءاً من رفض الاعتراف بإسرائيل وضرورة المحافظة على الحقوق والثوابت التقليدية في الصراع، فإن قضية تطوّر العلاقات الباكستانية الإسرائيلية من القضايا الشائكة التي أفلقت العرب والمسلمين، بحيث أصبح تطبيع العلاقات الباكستانية الإسرائيلية ذو دلالات سلبية على القضية الفلسطينية (2004، k).

فكما يقول الكثير من المراقبين، إن البدء بتطبيع العلاقات الإسرائيلية الباكستانية، وبهذه الصورة والشكل المستفز، وفي هذا التوقيت بالذات، يجب أن لا يعزل عما يجري في العراق وفلسطين ولبنان، "فكلها خطوات على طريق رسمته العصابة الصهيونية المتحكمة في القرار الأمريكي، ليصل في النهاية إلى تحقيق الهدف المعلن وهو "الشرق الأوسط الواسع أو المومع أو الكبير"، الذي يكون جزءاً أساسياً في بناء الإمبراطورية الأمريكية" (عارف، 2005، ص 5). وقد تكون هذه الخطوة الباكستانية إحدى ثمار مسرحية الانسحاب الإسرائيلي من غزة التي تقدمها واشنطن وحليفاتها تل أبيب على أنها تنازل كبير من قبل إسرائيل، ولكنها في حقيقة الأمر تترك غزة وقد حولتها إلى سجن كبير لتتفرغ لاستكمال تهويد القدس، وترسيخ الاستيطان في الضفة الغربية (عارف، 2005). وقد يستغرب البعض وصف الجنرال برويز مشرف لأرييل شارون بأنه "الجندي العظيم والقائد الشجاع"، لمجلة دير شبيغل الألمانية، وهذا الإعجاب بشارون ما هو إلا مؤشر إضافي على رغبته بالتقرب من إسرائيل (عبدالرحمن أ، 2005: 2005، Der Spiegel)، وعلى حساب القضية الفلسطينية. وتتبعني الإشارة إلى أن الولايات المتحدة كثيراً ما كانت تجند بعض الدول العربية والإسلامية لمواجهة بعض القضايا العربية والإسلامية، وفي هذه الأيام وفي حالة الضعف العربي وتفرّد واشنطن بزعامة العالم، قد دفعها مجدداً لعمل ذلك بالتعاون مع حليفتها إسرائيل وبترتيب مع بعض القوى المناوئة للمصالح العربية في المناطق ذات الحساسية الكبيرة للعالم، وعلى حساب القضايا العربية والإسلامية، وعلى رأسها القضية الفلسطينية.

لقد خسر العرب دولة مهمة هي الهند والتي ساندت تاريخياً القضايا العربية، وهم بضيفون إلى سجل خسائهم دولة باكستان ليخرجوا تماماً من شبه القارة الهندية ولتحقق إسرائيل خرقاً قد يكون مقدمة ضرورية نحو اندفاع أخرى تجاه البلدان الإسلامية في الشرق الأقصى في ظل الحديث عن خطوات متوقعة متشابهة للخطوة الباكستانية مع أندونيسيا كأكبر بلد إسلامي (جمال، 2005)، مما يؤدي إلى تميع الحق العربي بضعف المساندة الدولية له؛ فالهند، مع كل ذلك، ما زالت مستمرة على موقفها المبدئي الداعم للقضايا العربية؛ ففي كلمته أمام البرلمان في ديسمبر 2000 قال وزير الخارجية الهندي: "إنني أنتهز هذه الفرصة لأؤكد من جديد التزامنا بقيام دولة فلسطينية ذات حدود معترف بها دولياً، وذلك باعتبارها حقاً شرعياً للفلسطينيين، ومؤكداً تأييد بلاده لجميع قرارات مجلس الأمن وخاصة القرارين رقمي 242 و 338 (أيوب، 2003). ولكن لا نستطيع ضمان بقاء هذا التأييد مستمراً دون طغيان المصالح الوطنية لهذه الدولة أو تلك.

فتطبيع العلاقات بين الباكستان وإسرائيل، كما قال الرئيس برويز مشرف، مرتبط بإقامة دولة فلسطينية، ولكن هذا الأمر قد يكون موجهاً للاستهلاك الداخلي الباكستاني، ومحاولة مكشوفة لتهنئة المجتمع الباكستاني التقليدي، "وإذا ارتبط التطبيع بهذا الوعد فعلى إسرائيل الانتظار كثيراً إن لم يكن إلى الأبد" (حسين، 2005، ص4)، وكذلك الحال بالنسبة للقضية الفلسطينية.

وفي حقيقة الأمر فإن أهداف شارون من الانسحاب من غزة، كما أعلن عن ذلك مستشاره، هي التخلص من عبء احتلال غزة في ظل المقاومة الفلسطينية الضارية هناك، واستخدام الانسحاب من غزة كغطاء لتوسيع الاستيطان في الضفة الغربية واستكمال مخطط تهويد القدس الذي يشكل الجدار العازل رأس حربة إسرائيلي لتنفيذه، فضلاً عن ضم الكتل الاستيطانية الكبيرة في القدس والضفة إلى إسرائيل، وقد حصل شارون على

ضمانات أمريكية من إدارة بوش بتأييد ذلك، وبالتالي، فإن الانسحاب من غزة ليس خطوة على طريق إقامة الدولة الفلسطينية، فعلى العكس فإنه بداية مخطط صهيوني لتصفية القضية الفلسطينية وإعطاء إسرائيل جائزة ثمينة وكبيرة للتطبيع مع العالم العربي والإسلامي مقابل خطوة محدودة وجزئية هي الانسحاب من غزة (سالمان، 2005).

ففي الماضي غير البعيد، كان الموقف الباكستاني من إسرائيل مختلفاً جداً. فقد جاهدت باكستان على الدوام بعلاقاتها القوية مع الشعب الفلسطيني وبأيديها الكامل لقضيته العادلة، وقد ازداد هذا الموقف وضوحاً عندما تكشف للملأ أبعاد التعاون العسكري بين إسرائيل والهند الذي وصفته باكستان حينها "بالخطر الذي لا يهدد باكستان وحدها بل العالم الإسلامي برمته"، وقد بذلت باكستان جهداً كبيراً في حينه لإقشال عقد بيع إسرائيل للهند نظاماً للاستطلاع الجوي تبلغ قيمته حوالي المليون دولار ولكن دون جدوى (عبدالرحمن أ، 2005).

أما بالنسبة للسلطة الفلسطينية فقد نفت أن تكون لديها أي معلومات عن نية باكستان وسيرها لإقامة علاقات مع إسرائيل، في حين توالت ردود الفعل الفلسطينية الرسمية والشعبية المنددة والمستهجنة للقاء المفاجئ الذي جمع وزير خارجية باكستان (خورشيد قصوري)، ووزير الخارجية الإسرائيلي (سيفان شالوم) في تركيا. وقال الناطق الرسمي باسم الرئاسة (نبيل أبو ردينة) في تصريح صحفي إلى أن الرئيس الباكستاني برويز مشرف أبلغ الرئيس محمود عباس في اتصال هاتفي بينهما قبل يومين، أن هناك "مجرد لقاء" سيجمع وزير خارجية باكستان ونظيره الإسرائيلي في تركيا (المركز الصحفي الدولي، 2005). وقال أبو ردينة إن الرئيس مشرف أكد خلال الاتصال مع الرئيس عباس، أن باكستان لن تقيم أية علاقات دبلوماسية مع إسرائيل، إلا بعد قيام الدولة الفلسطينية المستقلة.

وبالنتيجة فإن الخاسر الأكبر والمباشر عربياً وإسلامياً من أي تطور وتقدم في العلاقات الباكستانية الإسرائيلية ستكون بشكل خاص القضية الفلسطينية، وبشكل عام الحق العربي في النزاع العربي الإسرائيلي؛ حيث إن التطبيع الباكستاني المتنازع مع إسرائيل سيضعف المفاوضات الفلسطينية، ويجعل إسرائيل تتردد مرات ومرات قبل الانسحاب من بقية الأراضي الفلسطينية المحتلة، وكذلك فإن هذا الوضع الذي تجري فيه إعادة صياغة المنطقة ورسم الخريطة الجديدة لها وفقاً للمصالح الأمريكية والإسرائيلية سيهدم كل ما قامت به المقاومة من تضحيات ويمثل طعنة لجهاد الشعب الفلسطيني، هذا إضافة إلى أن التطبيع الباكستاني الإسرائيلي سيؤدي إلى كسر حاجز المقاطعة العربية والإسلامية، وتشجيع بعض الدول المترددة في التطبيع بدلا من تقديم الدعم المعنوي والمادي للقضية الفلسطينية.

ويقول بعض المراقبين تطبيقاً على الذرائع الباكستانية من عملية التطبيع مع إسرائيل، إن هذه الخطوة أبعد ما تكون عن مناصرة الفلسطينيين، وهي في جوهرها مقدمة لهضم حقوق الفلسطينيين والعرب ومقدسات المسلمين في فلسطين المغتصبة (مهنأ، 2005). وقد يخلق التطبيع الباكستاني الإسرائيلي أيضاً اختراقات وحجج لبعض الدول العربية والإسلامية بالقول إن اتصالاتها مع إسرائيل تصب في مصلحة القضية الفلسطينية (قاطع دوت كوم، 2005، ص3)، في مقابل الرؤية الإسرائيلية الهادفة إلى محاولة كسر حاجز المقاطعة العربية والإسلامية لها، دون الاهتمام بإيجاد حل لهذه القضية، لتحقيق لها قبولاً لدى الرأي العام العربي والإسلامي.

سادساً: الخاتمة: السيناريوهات المستقبلية لتطوير العلاقات الباكستانية الإسرائيلية

بعد الإجابة عن سؤال الدراسة (ما هي الدوافع والأهداف التي أدت إلى تطوير العلاقات الباكستانية الإسرائيلية، من اللجوء للمعلن إلى التصالح المعلن، وما هي الصعوبات التي تواجه عملية التطبيع لهذه العلاقات، وما تأثير ذلك على القضية الفلسطينية؟) الذي بني على فرضيتها، لا بد من إبداء الملاحظات الختامية التالية، والتي من خلالها ستوضح مؤشرات وسيناريوهات العلاقات الباكستانية الإسرائيلية المستقبلية:

- 1- ليس من السهولة التكهّن بما ستكون عليه العلاقات الباكستانية الإسرائيلية، وذلك نتيجة للتشعبات المختلفة لهذه العلاقات وتربط بعضها مع بعض، وعلاقتها بالنظام الدولي الجديد، وكثرة أبعادها وصلتها بمناطق حساسة في العالم؛ منطقة الشرق الأوسط ووسط آسيا، لذا يمكن القول إن مستقبل العلاقة بين إسرائيل وباكستان غير واضح المعالم وسط هذا التنبؤ الأمريكي لإسرائيل في واحدة من أكثر مناطق العالم حساسة وسخونة، ومن الضروري أن نسأل هل نحن مقبلون، على سبيل المثال، على مقايضة من قبيل إسلام آباد لبرنامجها النووي بالتقرب من إسرائيل، أو هل هناك مصالح باكستانية أخرى لم يتم بحثها؟ علماً بأن الولايات المتحدة، بعد توريط الباكستان في الحرب ضد ما يسمى بالإرهاب (وضد حركة طالبان الأفغانية)، أصبحت ترى في الهند حليفاً أكثر ثقافاً وثقة من باكستان، وذلك بحكم المصالح المشتركة التي تربط الطرفين في المجالات الإستراتيجية والعسكرية والثقافية؛ وعلى سبيل المثال فقد وصل مؤخراً التبادل التجاري والتعاون التقني بين واشنطن ونيودلهي، في مجال اليرمجيات والإلكترونيات، حوالي 27 مليار دولار (راشد، 2006). وما زالت المباحثات جارية بين نيودلهي وواشنطن بشأن تشكيل تحالف عسكري كبير طويل المدى، إضافة إلى تأمين الحرية الهندية للمصالح الأمريكية الواقعة في منطقة المحيط الهادي، كل ذلك بالتحالف مع إسرائيل بترسانتها العسكرية (مفكرة الإسلام، 2002).
- 2- ليس من السهولة أن نقيم باكستان علاقات دبلوماسية كاملة مع إسرائيل بهذه السرعة، وذلك نتيجة لحساسية الموضوع ولترابطه بالمشاعر الدينية للشعب الباكستاني (Der Spiegel، 2005)، إذ نظمت الأحزاب الإسلامية المعارضة في باكستان مظاهرات كبيرة وعنفية ضد المحادثات الرسمية الأولى على أثر اللقاء الذي تم بين وزير خارجية باكستان وإسرائيل في الأول من سبتمبر 2005، مبقية الحكومة الباكستانية أمام سياسة جس النبض الشعبي، والتقدم خطوة خطوة نحو تطوير هذه العلاقات.
- 3- على ما يبدو فإن باكستان قد وقعت رهينة لفتيلتها النووية الإسلامية كما كان يشاع، أي أسيرة لهاجس الحفاظ عليها، في مواجهة التعاون الهندي الإسرائيلي للثقل من امتلاكها أو التعاون وحتى التآمر لدرء خطرها المفترض، وتداعيات التقارب الهندي الأمريكي المتصاعد في مواجهة ما يسمى "الإرهاب"، الأمر الذي أوصل إلى المشكلة الثانية، وهي التعاون الأمريكي الهندي والإسرائيلي الهندي ضد هذا العدو المشترك، وفي المقابل، فإن العلاقات الهندية الإسرائيلية تطرح عدة تساؤلات مهمة بالنسبة للعالم العربي والإسلامي، مما يدعو إلى دفع العلاقات العربية الباكستانية نحو تحالف إستراتيجي حقيقي.
- 4- على باكستان أن تتعلم من تجربة تركيا والتي نفيد بأنه لا يمكن تحقيق أي مكاسب بالتخلي عن المبادئ والقيم، وهناك من يقول بأن إقامة علاقات وثيقة مع إسرائيل ستضع باكستان في موقع مميز في علاقاتها مع واشنطن، فهل تستطيع باكستان أن ترضي فعلاً مجموعات الضغط المؤيدة لإسرائيل في واشنطن

ومن بينهم المحافظون الجدد؟ فإننا نذهب إلى أنه لا يمكن لباكستان أو لأي أمة لها كرامة أن ترضي مؤيدي إسرائيل والمحافظين الجدد في واشنطن، لأنه سيدفع بهم إلى إيمان أعصى خارج عن المنطق لكثير من مقولاتهم غير العقلانية وغير المنطقية، مثل أن "إعصار كاترينا عقوبة من الرب بسبب دعم الولايات المتحدة لانسحاب إسرائيل من غزة"، وتدخلهم الأخير في لبنان هو من أجل الدفاع عن النفس (الأحسن، عبدالله: 2005، ص 2: (Pellegrini, 2006).

وبناء على المعطيات والمؤشرات السابقة، فقد يكون السيناريو الأول لمستقبل العلاقات الباكستانية الإسرائيلية هو صعوبة المضي في تطويرها، لأن هذا التعاون الحالي له حدود، فإسرائيل لا يمكن أن تسمح لدولة إسلامية مثل باكستان، بالانفتاح على أنظمتها العسكرية ومعدات التسليح المتقدمة، ومن ناحية أخرى، فإن طبيعة النظام السياسي الباكستاني، والذي يعاني من مشكلات عدم الاستقرار الداخلي، وعجز الرئيس مشرف على تطوير مصادر جديدة لشرعية نظامه، يضع قيوداً شديدة على إمكانية المضي قدماً في تطوير العلاقات مع إسرائيل، باعتبارها قضية تحظى بمعارضة شديدة من جانب معظم القوى السياسية والاجتماعية الباكستانية (صالح، 2005). ومما يضاعف من خطورة الموقف على إسرائيل هو عودة الشعوب الإسلامية إلى التمسك بأصول دينهم مما يجعل من المستحيل تقبلهم "بشرعية دولة إسرائيل". وتعد هذه حقائق غير قابلة للنقاش لا تجعل من عملية الاعتراف بإسرائيل وهما وتجعل أي اتفاقية يتوصل إليها الطرفان غير قابلة للبقاء، وبالتالي فإنه من المستبعد أن تقوم علاقات دبلوماسية كاملة مع إسرائيل بهذه السرعة، كما يتصورها البعض.

أما السيناريو الثاني، فيقول مؤيدوه أنه يكاد يكون من المستحيل أن يقوم شخص بحكمة الرئيس برويز مشرف بتجاهل الكثير من الحقائق والتحيز إلى جانب الولايات المتحدة وإسرائيل ضد الشعب الفلسطيني والأمة العربية والإسلامية، وهو يعلم ما يريده الحليفان، وبالتالي قد تساير باكستان هاتين الدولتين لتحقيق بعض المصالح على المدى القصير، ولكنها لن تذهب بعيداً إلى حد تفضيل إسرائيل على حساب الشرعية الدينية لوجودها المستند إلى الدين الإسلامي، لأن الموضوع في أساسه شديد الحساسية ومرتبطة بالمثاسع الدينية للشعب الباكستاني.

أما السيناريو الثالث والمرجح فهو إن إقامة علاقات دبلوماسية كاملة رسمية بين البلدين ليست وشيكة الوقوع، ولكن الطريق أصبح شبه مهمل لإقامتها لاحقاً، وذلك إذا ما تحقق التغلب على المعارضة الباكستانية الشديدة لمثل تلك الخطوة، وذلك لأن التزامات باكستان الإسلامية ودورها في منظمة المؤتمر الإسلامي وموقفها من القدس والقضية الفلسطينية لم تكن عوائق أمام قرار التقارب مع إسرائيل، وأن القضية الفلسطينية لم تكن مصلحة باكستانية خالصة أو لم تكن قادرة على منافسة مصالح أخرى ترجح التقارب مع إسرائيل، مع أن هناك دواً عربية وإسلامية اعترفت بإسرائيل وأخرى تنهافت للاعتراف بها. لذا ستكون سياسة الرئيس برويز مشرف قائمة على جس النبض المعبي، والتقدم خطوة خطوة نحو تطوير هذه العلاقات كلما حانت الفرصة. وفي المقابل، ستبقى باكستان الدعم الأمريكي، ومهما بلغت الكلفة المرتفعة لزيادة مستوى هذا الدعم للنظام الباكستاني الحالي فإنها ستبقى أقل ثمناً وتكلفة من تحمل خيار انهيار النظام وإقامة دولة إسلامية في المستقبل تعارض التوجهات الأمريكية.

المراجع

المراجع والمصادر العربية

- إبراهيم، أحمد (2005)، "دراسة إسرائيلية تعترف: السلام مع باكستان ملئ بالمصاعب"، صحيفة الاتحاد الإماراتية 27/ ليلول، 2005.
- إدريس، محمد السعيد (2005)، "باكستان وصراع المصالح"، مجلة التجديد العربي: 2005/9/6.
- الأحسن، عبدالله (2005)، "العلاقات الإسرائيلية الباكستانية: خطوة إلى الأمام أم إلى الوراء؟"، الجزيرة نت، الأزرع أ، محمد (2005)، "التوجه الباكستاني نحو إسرائيل"، صحيفة البيان الإماراتية، تاريخ 2005/12/5.
- الأزرع ب، محمد (2002)، "السياسة الأمريكية الفلسطينية بعد 11 سبتمبر: محددات الاستمرارية والتغيير"، مجلة شؤون عربية، عدد 109.
- الشيخ، طارق (2001)، "كشمير ورؤى ما بعد 11 سبتمبر" مجلة السياسة الدولية، عدد إبريل، 148، القاهرة، مصر.
- المدني، عبدالله (2003)، "باكستان وإسرائيل: الاتصالات السرية"، في موقع الانترنت: لأزمة العربية: Elmadani@batelco.com.bt 2003.
- المكتب الإعلامي لحزب التحرير (2004)، "دعاءات الصداقة من باكستان لإسرائيل: التعليق السياسي".
- المركز الصحفي الدولي (2005)، وكالات، 2005/9/3.
- الملف الصحفي (2002)، "الهند وإسرائيل تتربصان بباكستان" الموقع الإلكتروني: مفكرة الإسلام، فبراير 2002.
- أيوب، مدحت (2003)، "مستقبل التحالف الهندي الإسرائيلي"، الموقع الإلكتروني، الجزيرة نت تاريخ 2003.
- جمال، كابي (2005)، "باكستان أول الحصاد الإسرائيلي"، الموقع الإلكتروني، مجلة الوفاق 232، تاريخ 2005/9/2.
- حتي، ناصيف (2002)، "النظام العربي بعد 11 سبتمبر"، مجلة شؤون عربية، بيروت، عدد 109.
- حسن، حسن (2005)، "العلاقات الباكستانية-الإسرائيلية.. بين بازار الحسابات ومعادلات السياسة"، صحيفة الثورة السورية، أيلول 2005.
- حسين، خليل (2005)، "إسرائيل وباكستان بين التطبيع والاحتواء المزدوج لكشمير"، مجلة الشرق الأوسط، الموقع الإلكتروني 2005/7/20.
- دياب، أحمد (2005)، "الموقف الأمريكي من القوى النووية الناشئة"، مجلة السياسة الدولية، القاهرة، عدد أكتوبر 162.
- ديلواني، طارق (2005)، "المسكوت عنه في العلاقات الإسرائيلية الباكستانية"، مجلة العصر: الموقع الإلكتروني، 2005/6/8.
- راشد، سامح (2006)، "اتفاق التعاون النووي بين الهند والولايات المتحدة الأمريكية"، مجلة السياسة الدولية، القاهرة، العدد أكتوبر 167، 2006.
- رميح، طلعت (2002)، "الهند وإسرائيل: تحالف عسكري إستراتيجي على أرضية صراع الحضارات ضد العرب والمسلمين"، الموقع الإلكتروني: "الإسلام اليوم"، تاريخ 2002/4/13.

- سليم، محمد السيد (2005)، "تطور العلاقات الهندية-الباكستانية"، مجلة السياسة الدولية، القاهرة، عدد 161، يوليو.
- صالح، عبدالله (2005)، "مستقبل العلاقات الباكستانية الإسرائيلية" مجلة العصر، تاريخ 2005/9/22.
- صحيفة الوطن السعودية (2005)، "إسلام آباد تدافع عن محادثاتها مع إسرائيل"، 2005/9/3.
- صحيفة الوطن السعودية (2001) على الموقع: Webmaster@alwatan.com. 2001.
- صحيفة معارف (2005)، "باكستان وتركيا في الفكر الصهيوني"، تاريخ 2005/9/13، ترجمة مصطفى رجب، نشر بتاريخ 17/سبتمبر 2006.
- صحيفة يدعوت أحرونوت (2005)، "عدو يهودي في إسلام آباد"، 2005/9/20.
- طاهر أ، أحمد (2004)، "العلاقات الهندية-الباكستانية: جولة جديدة من التقارب"، مجلة السياسة الدولية، القاهرة، العدد 159.
- طاهر ب، أحمد (2002)، "العلاقات الهندية-الإسرائيلية وتداعيات 11 سبتمبر"، مجلة السياسة الدولية، القاهرة، العدد 137.
- عارف، جلال (2005)، "التطبيع الباكستاني .. ومستقبل المنطقة"، صحيفة البيان الإماراتية 2005/12/5.
- عبدالباقى، مصباح الله (2005)، "التطبيع مع إسرائيل تفرضه حسابات "مشرف"، في: موقع إسلام أون لاين، تاريخ 2005/9/5.
- عبدالحكيم، أسامة (2003)، "إشهار العلاقات الأفغانية-الإسرائيلية بات وشيكا"، مجلة فلسطين الممثلة الإلكترونية.
- عبدالرحمن أ، أسعد (2005)، "العلاقات الباكستانية - الإسرائيلية"، في: موقع أسعد عبدالرحمن على الإنترنت بعنوان "أكاديمي وسياسي فلسطيني" باللغة العربية.
- عبدالرحمن ب، أسعد (2001)، "العلاقات الهندية-الإسرائيلية: الماضي والحاضر والمستقبل"، في: موقع أسعد عبدالرحمن على الإنترنت.
- عبدالفتاح، بشير (2004)، "الرئيس مشرف وتداعيات عمليات وزيرستان"، مجلة السياسة الدولية، عدد يوليو 157.
- عطوي، محمد (1998)، "التفجيرات النووية الهندية-الباكستانية: الأهداف والتداعيات"، مجلة الدفاع الوطني السعودي 1998/5/18.
- فرحات أ، محمد (2005)، "تطبيع العلاقات الباكستانية-الإسرائيلية.. الدوافع والإشكاليات"، مجلة السياسة الدولية، عدد 162، أكتوبر 2005.
- فرحات ب، محمد (2001)، "هل تعترف باكستان بإسرائيل؟"، في: ملف الأهرام الإستراتيجي؛ في: موقع الإنترنت www.ahram.org.ediacpss2001.
- مظلوم أ، محمد (2005)، "العلاقات الباكستانية الإسرائيلية"، مجلة كلية الملك خالد، عدد 83، 2005/5/2.
- مظلوم ب، محمد (2005)، "العلاقات الباكستانية - الإسرائيلية .. الأبعاد العسكرية"، مجلة السياسة الدولية، القاهرة، عدد 162، أكتوبر 2005.
- مساعدة، كمال (2005)، "إعادة رسم التحالفات الأمريكية خلف العلاقات الباكستانية-الإسرائيلية"، في: Albaladonline.com. 18.November 2005.

مقلد، إسماعيل (1979) الإستراتيجية والسياسة الدولية: المفاهيم والحقائق الأساسية، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت.

مهنا، عبداللطيف (2005)، "مصافحة على الجار التركي"، في الموقع الإلكتروني: إسلام أون لاين، عدد 229، السنة الرابعة عشر/ تاريخ 2005/2/3.

موقع إسلام أون لاين (2006)، "إسرائيل وتنشيط التطبيع مع العالم الإسلامي"، تاريخ 2006/3/2.
موقع قاطع دوت كوم (2005)، "الانسحاب من غزة والهزيمة العربية الإسلامية الرسمية تجاه إسرائيل"، أكتوبر 2005.

موقع BBC على الانترنت بعنوان "بوش يجدد دعمه لمشرف"، BBC.ARABIC.COM. 4.DECMBER 2004.

المراجع الإنجليزية

Alam .M. Shahid,(2004) Is There An Islamic Problem? University of Boston. (IBT Books, 2004). Shahid Alam has also a paper called: "Is Pakistan Selling Out? General Musharraf and the Recognition of Israel", University of Boston, September 20, 2005.

Associated Press,(2005) "Israel Offers Pakistan Assistance With Earthquake Evacuation", 10/09/2005.

Chadda, Sudhir,(2005), "Pakistan's Israeli Dilemma: Pakistan Watching India-Israeli Relation and Just Does not Know What to do", In: www. Indiadaily. Com/editorial/4604. Sep.16.2005.

German weekly Der Spiegel, (2005)"Factors Involved in the Normalization of Relations Between Pakistan and Israel", 08 June 2005.

Haeri, Safa,(2005) "Pakistan and Israel deal Iran a blow", Asia times online, Sep 3, 2005.

Hirschberg ,Peter,(2003), "Israel cautious over Pakistan's overtures", Asia times online Jul 17, 2003.

Jerusalem (CNN),(2005)," Israel, Pakistan hold first talks", CNN.com, Thursday, September 1, 2005.

Kumaraswamy, P.R.,(2000) A report;" Beyond the Veil: Israel-Pakistan Relation", Strategic Center at Tel Aviv University, 2000.

k ,Mercenary ,(2004) Israel and Pakistan: Natural Allies, In: http://www.strategypage.com/militaryforums/36-16413.aspx, 7/20/2004 .

Pellegrini, Alain (2006), "UNIFIL Suggests Force Against Israel" In :www. Pakistan Times. Net. October 2006.

Quiji, Ataf,(2006) report; "Israel versus Pakistan: Who would win? ", 10-28-2006.